

مرّوة كريدية

عواصف النسيان



دار النهضة العربية

عَوَاصِفُ النِّسْيَانِ

مروءة كربنية



دار النهضة العربية

الرقم :
اسم الكتاب : عواصف النسيان
المؤلف : مروة كريدية
الطبعة الأولى: 2013

دار النهضة العربية
بيروت - لبنان

الطريق الجديدة مقابل الجامعة العربية - كلية طب الاسنان - ط/1
تلفون: 854161 - 1 - 961 +
فاكس: 735295/736071 - 1 - 961 +
ص.ب 0749 - 11 رياض الصلح
بيروت 072060 - 11 لبنان
بريد الكتروني: e-mail:darnahda@gmail.com

© جميع حقوق الطبع محفوظة
ISBN 978-614-402-

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج
أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة
مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

Marwa Kreidieh

E-mail: Marwa_kreidieh@yahoo.fr

إهداء

إلى امتدادِ نورِ الصَّفْوَةِ هِبَةِ العُصُورِ
إلى الأرواحِ النَّبِيلَةِ التي عَانَقَتْ رُوحِي

إلى القلوبِ التي سكبتِ الأسرارَ في قلبي
إلى أَحِبَّائِي ... رُودادِ العِشْقِ والجَمالِ

إلى الكِبَرِيَّتِ الأَحْمَرِ مُحْيِي الدِّينِ ابنِ عَرَبِي
إلى نَايِ جَلالِ الدِّينِ الرُّومِي
إلى طُيُورِ فَرِيدِ الدِّينِ العِطَّارِ

إلى كُلِّ مَنْ يُدِينُ بِدِينِ الحَبِّ
أُرفَعُ هذه الخواطرَ
نَسْمَةً مِنْ عَوَاصِفِ حَيَاتِي

إلى الوليدِ مَنْصُورِ الَّذِي خَاضَ تَجَرِبَةَ الكِتَابِ جَنِيناً
ووَأكَبَ وَلادَتَهُ رَضِيعاً

مِنْ وَحْيِ الْعَوَاصِفِ

عَوَاصِفُ النَّسِيَانِ سِيرَةُ ذَاتِ حِكْمَةٍ مِنْ أَرْمَنَةِ طَفَتْ أَحْدَاثُهَا
ثُمَّ عَبَّرَتْ إِلَى صَمْتٍ مَنَسِيٍّ، تَرَوِي قَدْرًا حَاكَتْهُ شُخُوصٌ وَكَانُنَاتٌ
حَرَّكَتُهَا عِلَلٌ فَتَبَلُّوْرَتْ فِي الْحَيَاةِ أَفْعَالًا وَمَوَاقِفَ، وَلَمْ يُسَبِّبْ انْصِرَامَ
الْوَقْتِ فِي انْصِرَافِ شَيْءٍ مِنَ الْحَصَادِ بِحُلُوهِ وَمُرِّهِ.

سَرْدٌ لَا يَسْتَهْدِفُ ”العَقْلَ المَاضِي“، وَلَا ”جِلْدَ الذَّاتِ“ وَلَا
”إِدَانَةَ“ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَلَا الْإِفْصَاحَ عَنْ تَارِيخٍ عَبْرَ، بَلْ يَمْضِي
إِثْرَ نُورِ الْمَحَبَّةِ يَكْتَشِفُ أَنَّ نَسْتَحِقُّ هِبَةَ الْوَاحِدِ بِمَنْحِنَا الْحَيَاةِ، وَأَنْ
كَفَاحَنَا لَيْسَ إِلَّا سَعْيًا لِإِنْضَاجِ خَبَرَاتِ الرُّوحِ فِي مَسِيرَتِهَا.

وَيَتَوَهَّ الْفِكْرَ بَيْنَ ”حَقِيقَةٍ“ تَهْمِسُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَسْعِ الْمَرْءِ أَنْ
يَخْتَارَ ”الْأَفْضَلَ“، لِأَن تَقْيِيمَهُ عَلَى الظُّرُوفِ وَالْوَقَائِعِ وَالْخَبَرَاتِ
يَرْتَكِزُ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ اخْتِيَارَ مَنْقُوصٍ؛ وَبَيِّنَ ”وَاقِعٍ“ يُوَكِّدُ عَلَى
أَنَّ نَامُوسَ الْعِلَّةِ وَالْمَعْلُولِ سَرْمَدِيٍّ، وَأَنَّ مَا يَزِرُّهُ الْبَشَرُ إِيَّاهُ
يَحْصِدُونَ !

وَأَيًّا تَكُنْ حَقِيقَةُ الوجود، فَإِنَّ التَّحَرُّرَ مِنْ أَنَانِيَّةِ "الشَّخْصِيَّةِ"
وَشَكِّهَا وَخَوْفِهَا يَمْنَحُ الْحَيَاةَ حَيَاةً وَمَغْزًى وَيَفْتَحُ أَفْقاً نَحْوَ اللَّانِهَائِيِّ
الْخَالِدِ.

وَسَوَاءٌ اخْتَرْتُ "الأفضل" أَمْ "الأفضل" اخْتَارَنِي فَإِنِّي
اسْتَوْدَعْتُ عَمْرِي عَلَى جَنَاحِ تَدَابِيرِ قَدَرٍ مَقْدُورٍ، مُؤْمِنَةً أَنَّ خِبْرَةَ
رُوحِ الْإِنْسَانِ تَكْمُنُ فِي دَهْشَةِ تَأْمُلِ الْحَيَاةِ، الَّتِي يَكْمُنُ غِنَاهَا فِي
تَصَارِيفِ عَيْشِنَا الْيَوْمِيِّ بِيَدِ أَنْ قِيمَتِهَا تُوجَدُ فِي تَكَالِيفِ الْمَحَبَّةِ .

إِنَّ تَدْوِينَ هَذِهِ السَّيْرَةِ اجْتِهَادٌ خَلِيمٌ لِمُوَاجَهَةِ مَصَاعِبِ الْعَيْشِ
مُوَاجَهَةً بِنَاءً، وَجَهْدٌ دُؤُوبٌ لَوْعِي النِّوَايَا السَّيِّئَةِ وَالطَّيِّبَةِ جَمِيعِهَا،
وَفَهْمٌ مَشَاعِرِ الْكَرَاهِيَةِ الَّتِي تَتَلَاشَى عَلَى الْحَقِيقَةِ دُونَ جَهْدٍ بِحُكْمٍ
نَضِجِ الْحِكْمَةِ وَتَمَامِ التَّأْمُلِ وَاكْتِمَالِ الْمَحَبَّةِ.

إِنِّهَا مُحَاوَلَةٌ جَرِيئَةٌ لِلتَّخْفِيفِ عَنْ كَاهِلِي الْأَوْزَارِ فَمَا آلَمَ
الْمَاضِي وَالْأَخْطَاءُ إِلَّا جُزْءٌ مِنْ خَلَقَاتِ الْكَمَالِ وَسُلْسَلَتِهِ، فَيَحْمِلُ
الْحَاضِرُ الْمَزْدَهْرُ فِي رَحْمِهِ عَوَالِمَ الْإِخْفَاقَاتِ بِصَحْبَةِ ذَاتِ أُبْتُ
إِلَّا وَأَنْ تَكُونَ الْخِبْرَةُ السَّمَاوِيَّةُ وَالْمَشَاعِرُ النَّبِيلَةُ وَالْخَوَاطِرُ النَّقِيَّةُ

والتسامح والمحبة أداة تعبيرها .

عَوَاصِفُ النِّسْيَانِ سيرة بنت نُورٍ ترى العِيشَ كَوَرْدَةٍ
أزهت في الرَّبيعِ كَمَا تَرى الموتَ انعتاقَ بَتَلَاتِهَا وانطلاقها مع
نسمات الخريف .

وَاني اليوم أَلْقِي بِظِلَالِ هَيْكَلٍ وَ بَعْضًا مِنْ سِيرَةِ الذَّاتِ
وَكَيْنُونَتِهَا عَلَى دَرْبِ الْبَسِيطَةِ حَيْثُ أَنَّ لِي شَمْسًا لَمْ تُشْرِقْ بَعْدَ !

«بنت النور»

مروة كريدية

رِيَّاحُ الْعَوَاصِفِ

يَتَبَلَّوْهُ هُبُوبُ عَوَاصِفِ النِّسْيَانِ مِنْ خِلَالِ فُصُولٍ ثَلَاثٍ:
 طُفُولَةٌ وَمُزَاهِقَةٌ وَ شَبَابٌ، وَالْفَصْلُ الْأَوَّلُ أَبْطَالُهُ شَخُوصٌ يُؤْلِمُهُمْ
 سِرْدُ الْوَقَائِعِ وَكَشَفُ الْأَحْدَاثِ وَاكْتِنَاهُ الْعَبْرُ، بَيِّدَ أَنَّهُ مَخَاضٌ يَنْضِجُ
 حِكْمَةً تُوْدِي إِلَى اكْتِمَالِ الْمَحَبَّةِ. كَمَا أَنَّ سِيَاقَهُ الْأَدْبِيَّ وَأَسْلُوبَهُ
 السَّرْدِيَّ قَدْ لَا يَجَارِي إِيقَاعَ الرَّمْزِيَّةِ فِي النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِيْمَا بَعْدَ.

وَتَهَبُّ ثَانِي الْعَوَاصِفِ مَعَ بَدَايَةِ تَفْتَحِ بِنْتِ النُّورِ عَلَى الْحَيَاةِ
 ثَوْرَةً نُسِجَتْ مِنْ رَحِمِ أَلَمٍ سَبَّبَهُ مَدَّعُو التَّدِينِ مِنْ حُرَاسِ الشَّرِيعَةِ
 وَأَصْحَابِ الشُّرُورِ فَتَنْتَفُضُ بُوْجُهُ وَقَعَ الْخُنُوعُ وَزَيْفُ السُّلْطَانِ
 لَتَعْبُرَ إِلَى حَيْثُ الْمَحَبَّةِ نُورَ الشَّمْسِ ...

أَمَّا «مَنَازِلُ الْاِخْتِبَارِ» فَتَعْبُرُهَا عَلَى جَنَاحِ رِيَّاحٍ مَتَفَرِّقَةٍ،
 تَرُصِدُ مَخَاضَاتِ النُّضْجِ وَ تَكْتَسِبُ النَّفْسَ إِشْرَاقًا وَسِعَةً لَتَرْتَقِيَ فِي
 شَوْقِهَا الْأَعْلَى حَتَّى تَتَحَرَّرَ مِنَ الشُّوقِ نَفْسَهُ انْعِتَاقًا.

هذه النصوص تُعانق نَهْجًا عرفانيًا يعتمد الرؤيا والحَدَس
وَيَمزج الرومانسية بالحدائية، ويوائم السرد الواقعي بالرؤيويّة
الصوفية الذي يتجاوز ما هو أعمق من الاعماق وأسمى من السّامي.
وتتجلّى الواقعية في سرد وقائع حياة فتاةٍ غانت من بؤس
النفوس المحيطة بها لينطوي السرد في مقاربة ابداعية صوفية متصلة
بموسيقى كونية ينزاح فيها الزمان والمكان حيث إيقاع الوجود،
فتكتمل السردية بالغنائية في مقاربة «برزخية» تأملية سرّالية
تتصل بالعبر العرفانية في زَمَن تكاثرت فيه الصغائر وتراجعت فيه
المضامين لفهم ماهيّة خبرات الانسان والسعادة والوجود .

امْتِنَانٌ وَعِرْفَانٌ

أَتَوَجَّهُ بِخُشُوعِ قَلْبٍ وَبِامْتِنَانٍ عَمِيقٍ
إِلَى كُلِّ مَنْ سَاهَمَ فِي نَمَاءِ خَبْرَتِي بِإِخْفَاقَاتِهَا الْمَوْجِعَةِ وَنَجَاحَاتِهَا
الْمُثْمَرَةِ

إِلَى مَنْ وَكَبَّنِي بِحِكْمَةٍ حَكِيمٍ حَلِيمٍ...
إِلَى مَنْ أَمَدَّنِي مِنْ أَرْبَابِ الْقُلُوبِ أَصْحَابِ الصَّمْتِ ...
إِلَى مَنْ وَهَبَنِي بَرَكَاتِ الشُّفَاءِ مِنْ نُدُوبِ ذَاكِرَةِ مَتَأَلِّمَةٍ...
إِلَى مَنْ يَرْبِطُنِي بِهِمْ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْأُخُوَّةِ بِكَثِيرٍ...



بِنْتُ النُّورِ
عَفْوَةٌ مِنْ نُورِ الْأَحْزَانِ وَلَيْسَتْ

ولادة دراماتيكية!

من نُونِ التَّكْوِينِ إِلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ

وُلِدَتْ «بنت النور» فِي بَيْرُوتِ عَصْرًا، مَعَ اكْتِمَالِ قَمَرِ
تَشْرِينِ الْأَوَّلِ بَدْرًا، بَعْدَ ظَهْرِ الثَّلَاثَاءِ فِي غُرَّةِ أَكْتُوبَرِ الْمُوَافِقِ
لِمُنْتَصَفِ شَهْرِ رَمَضَانَ، مِنْ عَامِ النَّمْرِ وَفَقَ التَّقْوِيمِ الصِّينِيِّ!

لَمْ تَكُنْ تَدْرِي عَلَى الْحَقِيقَةِ إِنْ كَانَ لِلْبَدْرِ عَلَيْهَا سُلْطَانٌ، بِيَدِ
أَنَّ حَدْسَهَا يَشِي بِأَنَّ لَهَا مَعَ الْقَمَرِ شُؤْنًا وَ شَجُونًا، فَمَخَاضُ الْحَيَاةِ
يُزْهِرُ مَعَ الْمَدِّ الْعَالِيِّ لِلْبَحَارِ، وَمَا مِنْ طَاقَةٍ فِي الْكُونِ إِلَّا وَلَهَا عَلَى
طَوَاقَاتِ الْبَشَرِ تَأْثِيرٌ، وَهِيَ تَشْعُرُ بِعُمُقِ ذَلِكَ فِي وَجْدَانِهَا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ
لَتَتَحَرَّى ذَلِكَ عِلْمِيًّا وَفَلَكيًّا مَعَ تَوَالِي الْأَيَّامِ وَتَعَاقِبِ الْأَعْوَامِ.

وَعَبَرْتُ مِنْ عَالَمِ الْحَيَاةِ الْبَيُولُوجِيِّ إِلَى الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ عَبْرَ
عَمَلِيَّةٍ قَيْصِرِيَّةٍ شَاقَّةٍ خَضَعْتُ لَهَا وَالدَّتْهَا وَأَجْرَتْهَا الطَّبِيبَةُ «المرموقه»
سَلَمَى قَبَّانِي فِي مَسْتَشْفَى الْأَطْبَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي مَنَاطِقَةِ الظَّرِيفِ حَيْثُ
الْشَّارِعَ مَا زَالَ مَعْرُوفًا بِاسْمِ الْمَسْتَشْفَى بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى الْآنَ.

كَانَ لِلوَلَادَةِ أَنْ تَكُونَ طَبِيعِيَّةً لَوْلَا جَسَعُ «الْأَطْبَاءِ»
و«مَلَانِكَةِ الرَّحْمَةِ» مِنَ الْمُمْرَضَاتِ! - كَمَا حَدَّثَتْهَا وَالدَّتْهَا - الَّتِي
سَمِعَتْ حِوَارَ الْفَرِيقِ الطَّبِيِّ خِلَالَ الْجِرَاحَةِ فِيمَا يَظُنُّونَهَا مُسْتَعْرِقَةً
تَحْتَ تَأْثِيرِ الْمُخْدَّرِ؛ فَالطَّبُّ لَا سِيَّمَا فِي لُبْنَانَ تِجَارَةً وَشَطَارَةً، وَلَا
بَأْسَ مِنْ إِجْرَاءِ عَمَلِيَّةٍ غَيْرِ ضَرُورِيَّةٍ لِإِنْسَانٍ مِيسُورٍ «مُقَرَّشٍ»،
فَفَاتُورَةٌ مَرِيضٍ «الدرجة الأولى» يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ «ثَقِيلَةً» وَتَلِيْقُ
بِ«بِرْسْتِيْجٍ» الزَّبُونِ الْمَأْلُومِ!

لَمْ تَكُنْ وَالدَّتْهَا سَعِيدَةً بِقُدُومِ مَوْلُودِهَا الثَّانِي الْجَدِيدِ فَطَفَلُهَا
الْأَوَّلُ «السَّعْدُ» لَمْ يَتَجَاوِزِ الرَّابِعَةَ، وَهِيَ الَّتِي بِالْإِجْهَاضِ بِذَايَةِ
الْحَمْلِ وَأَتْنَاهُ قَدْ عَزَمَتْ وَلَأَمْرِهِ قَدْ حَزَمَتْ، غَيْرَ أَنَّ وَفَاةً أَحَدَ
أَقْرَبِهَا فِي رِيْعَانِ شَبَابِهِ جَعَلَهَا عَنْ قَرَارِهَا مُتَرَاجِعَةً، وَ«خَشْيَةً مِنْ
عِقَابِ رَبِّهَا» «عَنْ نَيْتِهَا نَادِمَةً، أَلَمْ يَقُلْ {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطْئًا كَبِيرًا}»¹؛ بَيِّدَ أَنَّهَا
لَمْ تَكُنْ مِنَ الرِّزْقِ خَائِفَةً بَلْ مِنْ هُمُومِهَا وَاجِفَةً، فَظُرُوفَ حَيَاتِهَا
الْلَاحِقَةِ فِيمَا بَعْدَ جَعَلَتِهَا تَنْدُمُ عَلَى هَذَا التَّرَاجُعِ النَّدَمِ الشَّدِيدِ، لِتَعُودَ
فَتَنْتَدِمُ عَلَى هَذَا النَّدَمِ مِنْ جَدِيدٍ!

كَانَتْ الْوَالِدَةُ تُعَانِي مِنْ عَدَمِ اسْتِقْرَارِ عَاطِفِي حَدٍّ مُتَعَدِّدِ الْمَصَادِرِ، وَاكْتِنَابِ عَمِيقٍ غَيْرِ مُعْلَنٍ مُتَنَوِّعِ الْمَرَاجِعِ، وَلَا تُرِيدُ زِيَادَةَ «نَكْبَةِ» مَوْلُودٍ جَدِيدٍ إِلَى نَكَبَاتِهَا النَّفْسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ أَوْ أَنْ تُضَيِّفَ مَسْئُولِيَّةً جَدِيدَةً إِلَى تَكَالِيفِ حَيَاتِهَا التَّعْيِيسَةِ الْمُرِيرَةِ، فَالْخَوَاءُ الرُّوحِي لَا يُمَحِيهِ الرِّخَاءُ الْاِقْتِصَادِي، وَالْوَعْيُ لَا يُشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ وَالْدَنَانِيرِ.

كَانَتْ تَعْمَلُ فِي مُؤَسَّسَةٍ «تَرْبَوِيَّةٍ» كَأُسْتَاذَةٍ فِي التَّعْلِيمِ الثَّانَوِيِّ فِي مِنتَقَةِ الْأَشْرَفِيَّةِ مَعْقَلِ «الْيَمِينِ الْمَسِيحِيِّ» فِي بَيْرُوتٍ عَلَى حَدِّ تَصْنِيفَاتِ الْكَانَنَاتِ الطَّانِفَةِ آنَذَاكَ. عَمَلُهَا هَذَا لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ حَاجَةٍ مَادِيَّةٍ، بَلْ لِأَنَّ «وُضُفِيَّةَ» الْمَرْأَةِ فِي سَبْعِينَيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي كَانَ جِزْءًا مِنْ «تَحْقِيقِ الذَّاتِ» وَنَوْعًا مِنْ «الْاِنْطِلَاقِ» وَالْوَجَاهَةِ وَمَكَانًا جَيِّدًا لِلظُّهْرِ الْاجْتِمَاعِيِّ، حَيْثُ أَنَّ صَدِيقَاتِهَا فِي الْوُضُفِيَّةِ كُنَّ مِنْ سَيِّدَاتِ الصَّالُونَاتِ الْمُخْمَلِيَّةِ الْمُتَحَدِّثَاتِ بِاللُّغَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ مِنْ زَوَاجَاتِ «الْمَدْرَاءِ الْعَامِّينَ» وَ«ضَبَّاطِ الْجَيْشِ» وَغَيْرِهِنَّ مِمَّنْ تُشَكِّلُ لَهُنَّ الْوُضُفِيَّةُ جِزْءًا مِنْ مُسْتَلْزَمَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَبَرِيقِهَا، وَنَادِيًا لِلتَّفَاخُرِ الْمُزَيَّفِ وَمَعْرَضًا لِلْأَزْيَاءِ «الْبَارِيسِيَّةِ» فِي وَقْتٍ يَشْهَدُ فِيهِ الْبَلَدُ طَفْرَةً اِقْتِصَادِيَّةً وَحَدَاثِيَّةً صَارِخَةً جَعَلَتْهُ مُمَيِّزًا عَنْ بَقِيَّةِ دُولِ الْجَوَارِ فَاسْتَحَقَّ لَقَبَ «سُويسِرَا الشَّرْقِ» بِامْتِيَازٍ آنَذَاكَ.

كَانَتْ تَنْزَعُ بِصَمْتٍ يَخْفِي فِي طَيَّاتِهِ كَمَا لَا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنَ
الشُّعُورِ بِالثُّنَوِيَّةِ كَوْنِهَا «مُسْلِمَةٌ» تَنْتَمِي لِطَائِفَةِ «الْمُتَخَلِّفِينَ» وَهِيَ
تَكْتُمُ مَا تَرَسَّخَ فِي وَعِيَهَا بِأَنَّ «الْمَسِيحِيَّ» أَكْثَرُ تَفَوُّقًا وَتَعْلَمًا وَمَدَنِيَّةً
وَحَضَارَةً، لِيَزِيدَ فِي طَنْبُورِ انْزِعَاجِهَا نَعَمَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَدَاوِلَةِ حَوْلَ
الْأَوْضَاعِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي خَيَّمَتْ عَلَى الْأَجْوَاءِ عَقَبَ مَا أُطْلِقَ
عَلَيْهِ «نَكْسَةُ عَامِ 1967» وَمَا تَبِعَهَا مِنْ ذِيُولٍ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ
السَّبْعِينِيَّاتِ، فَكَانَتْ الْأَصْطَفَاقَاتُ السِّيَاسِيَّةُ الطَّائِفِيَّةُ قَدْ بَدَأَتْ تَتَبَلُّورُ فِي
خِطَابَاتِ اللَّبْنَانِيِّينَ الَّذِينَ انْقَسَمُوا بَيْنَ مُؤَيِّدٍ لِمَشْرُوعِ جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرِ
وَمُنَافِيهِ لَهُ. حَيْثُ تَخَذَعَتْ مُعْظَمُ الْقَوَى «الْمُسْلِمَةُ» وَ«الْيَسَارِيَّةُ»
فِي إِطَارِ الْأَوَّلِ، فِيمَا تَمْتَرَسَتْ مُعْظَمُ الْقَوَى «الْمَسِيحِيَّةُ» وَ«الْيَمِينِيَّةُ»
فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى، وَسَطَ وُجُودِ «مُنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ» الَّتِي
اتَّخَذَتْ مِنْ لُبْنَانَ مَقَرًّا لَهَا وَلِعَمَلِيَّاتِهَا «الْفِدَائِيَّةِ» وَحَوَّلَتْ الْمُخِيَّمَاتِ إِلَى
حُصُونٍ مُدَجَّجَةٍ بِالسَّلَاحِ لِكُلِّ «الْأَبْوَاتِ»¹ وَأَمْسَى لُبْنَانُ كَمَا الْيَوْمَ
رُقْعَةً قَذِرَةً لِلْعَبَةِ الْأُمَمِ !

كَانَتْ أُمُّ «بِنْتُ النُّورِ» تُخَالِجُهَا تَسْأُولَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ سَبَبِ

1 - «الْأَبْوَاتِ» : لَفْظَةٌ عَامِيَّةٌ (جَمْعُ لَفْظَةِ أَبٍ بِدَلَالَةٍ مِنْ آبَاءٍ) تَدَاوَلَهَا اللَّبْنَانِيُّونَ
خِلَالَ وُجُودِ مَنْظَمَةِ التَّحْرِيرِ فِي لُبْنَانَ وَتَشِيرُ إِلَى الْقَادَةِ السِّيَاسِيِّينَ وَالْعَسْكَرِيِّينَ
فِي الْمَنْظَمَةِ أَمْثَالُ «أَبُو عِمَارٍ» وَ«أَبُو جِهَادٍ» وَ«أَبُو اللَّطْفِ» وَ«أَبُو إِيَادٍ»
«أَبُو الزَّعِيمِ» ... وَغَيْرُهُمْ كَثَرُ .

سيطرة «المَارُونِيَّة السِّياسِيَّة» على الوظائف والمَنَاصِب التي كانت تَوَزَّع على قَاعِدَة الكَعكَة الطائِفِيَّة (سِتَّة وَسِتَّة مُكَرَّر) ، الأمر الذي يُشْعِرُ بالاضطهاد في وَسْطِ تُسَيِّطِرُ عَلَيْهِ النَزْعَة البُورجوازيَّة وَيَكْتَنِزُ كُلَّ عَقْدِ الفَوْقِيَّة كما الدونية على حدِّ سواء.

مَطْلَع صَيْف عام 1975 كانت نُذِرُ الحرب الأهليَّة اللبنانيَّة قد أَرَحَتْ بِظِلَالِهَا بَعْدَ أَنْ تَدْهَوُرُ الوَعْي إلى أدنى مستوياته، حيث بدأت تتوالى حوادث العنف والخُطْفِ والدَّبْح على الهويَّة والاغتيالات، في ظلِّ انتشار حواجز الأحزاب الطائفية، وبدأ الفرز السُّكَّاني يتشكَّل عبر جُزُرٍ أمنيَّةٍ منعزلةٍ، كما بلغت عمليات التَّهْجِير الداخلي القَسْرِي أشدها، ممَّا مَنَعَ والدَة «بنت النور» من مواصَلَة عَمَلِها في الأشرْفِيَّة، بعد أن قُسمَت بيروت إلى شَطْرَيْن «شرقية» ذي غالبيَّة «مسيحية» و«غربية» ذي غالبيَّة «مسلمة»، كما تَرَكَّت وَعائلتها مَنزِلَهم الصَّيْفِيَّ ومُتَنَزَّهم الأسبوعيَّ في قَرْيَة بيت الكوكو قَسْرِيًّا عَقِبَ مجزرة «السبت الأسود»¹، حيث استولى أحد الأحزاب

1 - يوم السبت 6 ديسمبر 1975 وعلى أثر العثور على جثث أربعة قتلى قيل إنهم من مرافقي احد زعماء الاحزاب «اليمينية»- (حزب الكتائب) ، سارع مقاتلو الحزب باختطاف العشرات وقتلهم وبلغ عدد ضحايا «السبت الأسود» 110 قتلى، ونحو 300 مخطوف؛ أخبرني جدِّي بأن معظم القتلى كانوا عاندين من اعمالهم من الوسط التجاري .

على البيت لِيَجْعَلَ مِنْهُ مَكْتَبًا لِعَمَلِيَّاتِهِ وَمُسْتَوْدَعًا لِدُخَائِرِهِ وَمُعْتَقَلًا لِمَخْطُوفِيهِ.

وَأَثَرُ حَرِّقِ الْوَسْطِ التُّجَارِيِّ وَجَدَ وَالِدُ «بَنْتِ النُّورِ» نَفْسَهُ كَمَا سَائِرُ تُجَّارِ بَيْرُوتٍ عَاطِلًا عَنِ الْعَمَلِ بَعْدَ أَنْ نُهِبَتِ الْبَضَائِعُ وَأَصْبَحَتِ الْأَمْلاكُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ.

كَانَ عُنْفُ الْأَحْدَاثِ عَلَى الْأُمِّ مَرِيرًا، وَوَقَعَ الصَّدْمَةُ كَبِيرًا؛ كَيْفَ لَا وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُتَادِمُ صَدِيقَاتِهَا مِنْ «الدِّيَانَاتِ» الْأُخْرَى بِحُبِّ شَدِيدٍ، وَتَبَادُلَ جِيرَانِهَا مِنْ «النُّحْلِ» الْمَغَايِرَةِ الْوَدَّ الْجَمِيلِ، فَهِيَ الْمَوْلُودَةُ بَيْنَهُمْ وَفِي وَسْطِهِمْ عَاشَتْ، وَلَأَفْرَاجِهِمْ احْتَفَلَتْ وَفِي أَتْرَاجِهِمْ حَزَنْتْ؛ فَكَمْ مَرَّةً ذَرَفَتْ الدَّمُوعُ فِي جَنَازٍ وَقَدَّاسٍ، وَكَمْ مَرَّةً رَفَصَتْ طَرْبًا احْتِفَاءً بَعِيدَ «الْمِيلَادِ»، وَكَمْ سَهَرَتْ تَنْتَظِرُ عَجِينَ الزَّلَابِيَّةِ فِي لَيْلَةِ «الْغَطَاسِ»¹، وَكَمْ مِنْ بَيْضَةٍ لَوَّنَتْ فِي «الْفَصْحِ الْمَجِيدِ»، وَهِيَ الَّتِي خَبَّأَتْ فُسْتَانَهَا الْأَبْيَضَ الْجَمِيلَ ذَا الشَّرِيطَةِ الْمَعْقُودَةِ وَحْدَاءَهَا اللَّامِعَ لـ«أَوَّلِ قَرْبَانَةٍ»، وَكَمْ كَانَتْ تَحِبُّ «الْكَعْكَعَ

1 - لَيْلَةُ الْغَطَاسِ: يَحْتَفَلُ بِهَا فِي 6 كَانُونِ الثَّانِي وَهِيَ ذِكْرَى حُلُولِ الرُّوحِ الْقُدُسِ عَلَى الْمَسِيحِ فِي نَهْرِ الْأُرْدُنِ.

المقدس» الذي يُصَنِّعُه فَرَّانُ القرية للمناولة بعد الغفران، وكم مرّة أضاءت الشُّموع لشَفِيع الضَّيعة وقديسها.... وهي التي لم تنسَ يوماً قصص التَّوراة القديمة التي كان يرويها خال جدتها القسّ المتصوِّف العجوز «عازر الأشقر» من كتابه العتيق، وصلاته باللغة «الكرشونية»¹ التي لازالت تحفظها عن ظهر قلب... واقع عاشته بأدقِّ تفصيله!

وواقع الحرب صادم! وعقلها أضيق من أن يستوعب كيف أن جارهم «الوفي» المكرّر بدين المحبّة والسلام، قد استولى على أرضهم ونهب ممتلكاتهم وحوّل دارهم مستودعاً لِسلاح «حزبه»، وفناه حَظِيرَةً لبهائمِهِ! ولم يكن لديها الوَعي الكافي لتمييز بين السلوك الشائن للتصرف الشخصي وبين المجموعة الدينية التي لا تؤخذ بِجَرِيرَةٍ أفرادها ومُوبقاتِهِم.

انكفأت والدة «بنت النور» على ذاتها مذعورة وبنتها رَضِيعَةً لم تتجاوز عامها الأول، وانقَطَعَت عن مُجْتَمَعِها وَعَمَلِها، وجعلت بينها وبين النَّاسِ جداراً فولاذياً مَنيعاً، وقَطِيعَةً دائمةً، لتقبع في «دائرة نفسها»، وسقطت ضحيّة هواجسها، فشَبَّتْ في قلبها بُذُور كراهية الآخر وتَعَمَّلَتْ حتى غدت حقداً يُعِمِّي ويصمّ، كما

1 - الكرشونية هي الكتابة العربية بالحروف السريانية.

اتسعت الهوةُ النَّفسِيَّةُ بينها وبين زوجها حتى غدت أخدوداً عظيماً ذا
غور بعيدٍ ساحقٍ، لينتَهِي الأمرُ بها فَرِيسَةَ أيدِولوجيةٍ «دينيةٍ سنيَّةٍ»
متطرفةٍ منغلقةٍ، فجعلت بينها وبين العالمين حجاباً منيعاً، قَابِعةً في
حجرٍ مَحْجُورٍ لا تُرى الدنيا من خلاله إلا سوداء مُظْلَمَةٌ!

كل تلك «النَّكَبَات» توالى على عائلة «بنت النور» عَقَبَ
مولدها... لِذَلِكَ فَإِنَّهَا لم تكن «وَجْه السَّعْد» بالنسبة لهم ! علاوة
عن كونها «أنثى» في مُجْتَمَعٍ احترفَ «الذكورية» بشتى أشكالها
وصورها فَمَنَحَها اسماً مُكَوِّراً مدوراً ألصقوا به تاء التأنيث
المربوطة، للتترجم الأم «المتدينة» حديثاً «تَقَوَاهَا» و «ورعها»
في شَتَّى صنوف التمييز ضدَّ هذه الطفلة المسكينة على رِكَائِزِ
ايدِولوجية تتلوها في كل آن ومكان «فَهَمَّ البنات للَمَمَات» و «الصبي
لا يعيبه شيء» و «المرأة كلها عورة» و «النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ»
و «أكثر أهل النار من النساء» وهن «ناقِصَاتُ عَقْلٍ وَ دِينٍ» و «وانَّ
خروجهن مفسدة جمَّة، فوفرْنَ في بيوتكن»! وعَمَلَتْ على قَمْعِ كُلِّ
مُبْهَجٍ مفرحٍ عن طفلة لم تُكُنْ لِتُمَيِّزَ بين الكائنات بعد.

وَتَسْرَح «بنت النور» بعد عقودٍ ثلاثة في عُمقِ ذَاكِرَتِهَا
 عَلَها تَفْهَمُ بَعْضًا مِمَّا آلَ إِلَيْهَ واقِعُها الحَاضِرُ، وان كانت ولادَتِها
 خِبرَةً لا تَتَذَكَّرُها تَذَكُّرًا وَاَعِيًا بَيِّدَ أَنْ صَخَبَ الْأَحْدَاثِ وَمَرَّارَةِ
 الْأَهْلِ وَالْأَمِّ الْأُمِّ، والمَعْتَقَدَاتِ المَنحَرِفَةِ والعَادَاتِ الخاطِئَةِ، خَلْفَ
 إِرْتِثًا لا يُسْتَهَانُ بِهِ مِنَ الْقَلَقِ وَالشَّعُورِ بالخَوْفِ وَالْمَرَارَةِ وِ عَدَمِ
 الْأَمَانِ اصْطَبَغَتْ بِهِ مَراحِلَ طِفولَتِها الْأَوَّلَى التي لا ذَنْبَ لَها بِها
 ولا اخْتِيارَ ، نَعَم هِيَ الْآنَ وَقَدِ اقْتَرَبَتْ مِنْ سَنِّ النِّبُوَّةِ تَعِي تَمَامًا
 أَنَّها نَتاجَ دِراما لِمَسْرُحِيَّةٍ حَمَقاءَ لِأَنَّ الحَجَرَ الَّذِي يُرْمَى فِي مَحِيطِ
 الْحَيَاةِ تَسْتَمِرُّ دَوَائِرُهُ بِالتَّفَرُّقِ بِلَا حُدٍّ وَلَا نَهايَةٍ، اذ لا ضِفافَ تَقِفُ
 عِنْدَها وان الطِفْلَ الَّذِي يُولَدُ ثَمَرَةً جَهِيمٍ مَقِيمٍ سَيُكْرَّرُ سَخافَةُ أَهْلِهِ
 وَبُؤْسُهُمْ. وَكَي لا تَعِيدُ إِنْتاجَ ماضِيها هَـا هِيَ اليَوْمَ تَكْتَشِفُ بِتَأَمُّلٍ
 عَمِيقٍ وَوعِيٍّ تَامَ خِبرَةً وَلادَتِها، فَتَولِدُ مَرَّةً ثانِيَةً بوعِي تَفْهَمُ مَعانَةَ
 الْأَهْلِ وَتَسامِحُهُم لَأَنَّهُم كانوا ضَحِيَّةً!

وتغوص «بنت النور» في الذاكرة لتعيش صدمة الولادة مجدداً، فالحياة بالنسبة لها الآن كاملة القيمة، فهي من الخوف الذي يُدخلها في الغيبوبة التي تفصلها عن ذكرياتها قد تحررت، وما حيواتها وموالدها إلا مشاهد إيقاع أفول و ولادة متواترة، وما الموت إلا مشهد صغير من مشاهد الحياة الخالدة . ويشخص الحكيم «طاغور» في مُخيلتها الآن بِمَقُولته: «إِنَّ كُلَّ طِفْلٍ يُولَدُ يَحْمِلُ رِسَالَةً أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَيْأَسْ بَعْدَ مِنَ الْإِنْسَانِ»، وَمَخَاضُ عُثُورِهَا مِنْ نُونِ التَّكْوِينِ إِلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ وَانْتِقَالَ رُوحِهَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ إِلَى عَالَمِ الشَّهَادَةِ عَسِيرٌ بِيَدِ أَنَّهُ يَخْطُرُ رِسَالَةٌ مَحَبَّةٍ وَسَلَامٍ عَمِيمٍ فَتَدُونُ بِيَمِينِهَا:

عَلَى إِيقَاعِ الْوُجُودِ
نُسِخَتْ رُوحِي
صُلِبَ النَّاسُوتُ مَنِّي
وَجَلَّتْ عَوْدًا عَلَى بَدْءِ

فَغَايَةِ حَيَاتِي تَرْجَمَةَ رُوحِ
لِمَبْدَأٍ وَعَتَهُ
فِي أَذْنَى عَوَالِمِ الْكَوْنِ

تِلْكَ ... غَايَةُ
وِغَايَتِي
فِي مِرَآةِ الزَّمَانِ
أَخْطُهَا مَحَبَّةً وَسَلَامًا
كَمَالٍ أَسْعَى إِلَيْهِ الْآنَ
أَرْتَقِي بِهِ
فِي مَسِيرَةِ اكْتِمَالِ وَجُودِي

أُمَحِّى الزَّمَانَ عَنْ قَلْبِي
فَعَاوَدَتْنِي أَحْدَاثُ عَالِمِ الْأَزَلِ
حِينَ اسْتَدْعَتْ لَطِيفَتِي مَعْبُدًا
تَأْوِي إِلَيْهِ
عِنْدَ الْعُنْصُرِ الْأَعْظَمِ الْمَكْتَنَزِ
فِي عَالَمِ الْغَيْبِ

عَبَّرْتُ إِلَى عَالِمِ التَّكْوِينِ
عَبْرَ دَائِرَةِ الْهَوَاءِ
فَاسْتَدَارَ الزَّمَانُ
يَوْمَ وَلَا دَتِي
عَلَى صُورَةِ الْمِيزَانِ

فَكَانَ أَوَّلَ الْأَفْلَاكِ الَّتِي
دَارَتْ بِهَا.... عَاقِلُهُ رُوحِي
فَانْكَتَبَ حَقًّا عَلَى صَفَحَاتِ قَلْبِي

سَتُحْلَقُ رُوحِي
فِي هَوَاءِ مِيزَانِ
مَقَامِ عَدَلٍ ...
وَأَعُودُ إِلَى حَبِيبِي
عِنْدَ انْقِضَاءِ دَوْرِي

مَسِيرَةَ مَعَابِرِي مَوَالِدٍ
أَخْطُو بِهَا مِنْ مَعْبَدٍ لِهَيْكَلٍ
أَحْمَلُ أَسْمَى الشُّوْقِ
وَلِي فِي رَحِمِ الْأَرْضِ حُضْنٌ
وَفِي احْتِضَانِ الرَّحِمِ أَرْضٌ

أَغْفُو إِلَيْهَا وَلْنَهْدَهَا مِنِّي عَنَاقُ
أَرْضَعُ الْبَرَازِخَ
بِرَزْخًا تَلُو بِرَزْخٍ
وَأَقْطَمُ وَلَادَةَ تَلُو الْوَلَادَةَ
فَأُحْجِبُ عَنْ رَبِّي بِكُلِّ حَيَاةٍ بُرْهَةً
وَأَعُودُ بَعْدَ نَسْخِ الرُّوحِ
أَعْقِلْ مَحَبَّتَهُ وَدَا
نَحْوُ الْفَطَامِ الْأَخِيرِ
عِنْدَ انْعِتَاقِ رُوحِي

هُوَ إِيقَاعُ الْكُونِ مَرَاقِصَ
تَرْقِصُ سَيَرُورَةَ مَوْتٍ مُسْتَأْنَفٍ
إِلَى صَيَرُورَةِ حَيَاةٍ حَرٍّ
أُولَدَ الْيَوْمَ مُجَدِّدًا
وَفِي كُلِّ آنَةٍ أَمُوتُ فِيهَا
وَأُحْيَا بِوِلَادَتِي فِي كُلِّ آنٍ

تلك معابر التّروح
في رحلة انعتاقها
إلى آخر عُنُقٍ عتيقٍ
عند عودتي
إلى صورة ربّي في عالم القُدسِ

بَيْتٌ مُنْقَسِمٌ

وَتَهَيِّمُ «بِنْتَ النُّورِ» فِي قَدَمِ الْأَزْمَنِ الَّتِي يَكْتَنِفُهَا بَيْتٌ مُتَشَطٌّ
مُتَشَرِّدٌ. هَذَا حَالٌ عَائِلَتِهَا خِلَالَ طُفُولَتِهَا الْأُولَى! وَهَذَا حَالُ بَلَدِهَا
أَثْنَاءِهَا! أَشْبَهَ بِسَفِينَةٍ هَائِمَةٍ فِي بَحْرِ هَائِجٍ تَلْفُهَا الْمَخَاطِرُ وَتُحَاصِرُهَا
الْعَوَاصِفُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَفِي كُلِّ حِينٍ.

كَانَتْ أَسْرَتَهَا أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِكُرَاتٍ مُتَفَاوِتَةِ الشَّكْلِ وَالْمُضْمُونِ
لِعَقْدٍ مُنْفَرِطٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ شَدِيدُ الْأَنْشِغَالِ بِ«أَنَاهُ» رَغْمَ ادِّعَائِهِ فِي
«التَّضْجِيَةِ» فَنَّا عَظِيمًا، وَأَنَّهُ قَدَّمَ مِنْ أَجْلِ عَائِلَتِهِ وَأَوْلَادِهِ «قَرَبَانًا»
فَرِيدًا لَمْ يَقْدِّمَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ عَلَى وَجْهِ الْمَعْمُورَةِ!
كُلُّ فَرْدٍ فِيهِمْ يُغْنِي عَلَى لَيْلَاهُ، عَوَالِمُ مُتَنَافِرَةٍ تَعِيشُ عَلَى
صَعِيدٍ مُشْتَرَكٍ، وَ«حَوَارَاتِهِمْ» كَتَفَاهِمَاتِ مَخْلُوقَاتٍ لَا تَنْتَمِي لِفَصِيلَةٍ
وَاحِدَةٍ، وَنِقَاشَاتِهِمْ كَحَرْبٍ «كَائِنَاتٍ فُضَائِيَّةٍ» مِنْ مَجَرَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ
جَمَعَهَا الْقَدَرُ وَمَحُضُ الصَّدْفَةِ عَلَى كَوْكَبٍ وَاحِدٍ، لَا يَعْرِفُ وَاحِدُهُمْ
لُغَةَ الْآخَرِ وَلَا يَجِدُ لِلتَّفَاهُمِ مَعَهُ سَبِيلًا! وَلَا يَرَى فِي غَيْرِ «أَنَاهُ»
وَتَوَابِعِهَا وَمَصَالِحِهَا الضَّيِّقَةَ وَمُسْتَلْزَمَاتِهَا الْآنِيَةَ إِلَّا آخَرَ صَاحِبٍ

دَسِيسَةٌ وَمُؤَامِرَةٌ لَا يَتَحَرَّكُ إِلَّا بِدَافِعِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ ! فَسَوْءَ الظَّنِّ
حَاضِرٌ وَتَبَادُلُ التُّهَمِ نَاضِرَةٌ!

العلاقة بَيْنَ وَالدِّهَانِ عَلَى رُدُودِ الْفِعْلِ الْإِنْفِعَالِيِّ
الْمُتَشَنِّجِ قَائِمَةٌ، وَمَعْرَكَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ عَلَى مَحَوَّرِ إِدَانَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
لِلْآخَرِ رَحَاً دَائِرَةً، فِيمَا يَقُومُ الثَّانِي بِشَنْ هُجُومٍ مُضَادٍّ كَاسِحٍ مَاسِحٍ؛
فِي ظِلِّ عَمَى فِكْرِيٍّ مَخِيْمٍ وَظِلَامٍ عَقْلِيٍّ دَامِسٍ وَجَهْلٍ مَعْرِفِيٍّ مُطَبَّقٍ
وْغِيَابٍ رُوحِيٍّ تَامٍ وَاشْتِدَادٍ نَفْسِيٍّ مُؤَلِّمٍ، يُؤَدِّي إِلَى الرَّفْضِ التَّامِ لِمَا
يَقُومُ بِهِ الْغَيْرُ جَمْلَةً وَتَفْصِيلاً؛ حَتَّى عَمَتْ الْكَرَاهِيَّةُ الْقُلُوبَ وَشَوَّهَتْ
الْأَرْوَاحَ !

الْأُسْرَةُ بِالنِّسْبَةِ لـ«بَنَتِ النُّورِ» فِي طُفُولَتِهَا مَعِينٌ لَا يَنْضَبُ
مِنْ قَلْقٍ دَائِمٍ وَالْمِمْسْتَمِرِّ وَمُتَوَاصِلِ وَسَاحَةِ صِرَاحٍ شَرِسٍ مُحْتَدِمٍ
مُتَأَجِّجٍ، وَقَدْ جَفَّ «الْأَمَانُ» وَتَلَاشَتْ «الطَّمَأْنِينَةُ» وَخَدَمَتِ الْمَوَدَّةُ...
وَلَمْ يَشْفَعْ ظَاهِرُ الصُّورَةِ «الْخَارِجِيَّةُ» الْحَسَنَةُ لِلْعَائِلَةِ مِنْ إِخْفَاءِ قُبْحِ
الشَّقَاءِ، وَلَمْ يُفْلِحْ بَرَسْتِيحُ «الْعَائِلَاتِ» الْمُنْمَقَةُ مِنْ سِتْرِ «كَرْبِ»
النَّفُوسِ التَّعْيِيسَةِ وَبُؤْسِهَا!

لَمْ تَكُنِ الْأُمُومَةُ وَالْأَبُوتَةُ تَعْنِي لُهُمَا أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ الْإِعْتِنَاءِ
بِضُرُورِيَّاتِ جِسْمِ الْمَوْلُودِ وَسَلَامَتِهِ الْخَارِجِيَّةِ، فَوْعِيَهُمَا بِمُسْتَلْزَمَاتِ
الْعَنَايَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ غَيْرِ مُتَبَلُورٍ، وَغَائِبٍ عَنْهُمَا أَنَّ رُوحَ

الطُّفْلَ وَادِعةً وَ تَتَطَلَّبُ رعايةَ خاصةٍ كونهَ نَفْساً مُسافِرةً قُدِّرَ
عليهما التأثيرُ فيها فَتَرَّةً مُعَيَّنَةً لَتَحَقَّقَ أَرْوَاعَ إمكانيَّاتها واستعداداتها
و مَوهِبَتِها الكامنة، وأنَّ تَوْرِيثَ «الحكمة» يكونُ عبرَ قوَّةِ المحبةِ
الفاعلةِ فيهما كَشْرِيكِي حِياةٍ، وأنَّ الخلافاتِ و الكراهيةِ من شأنها
أن تتركَ نُدُوباً نَفْسِيَّةً عميقةً حَتَّى عَلَى الرِّضِيعِ اللاواعيِ والجَنِينِ
المُسْتَتِرِ فِي أَعْمَقِ الأَرْحامِ!

ومع استمرارِ الشدَّةِ النفسيةِ لوالدةِ «بنت النور» أصبح
الاهمالُ سِمَةً الحِياةِ البارزة، ولم تُعدِ العنايةُ بالضرورياتِ الشكليَّةِ
أولويَّةً، فذبلتِ الطِفلةُ وانزَوَتْ واتشحت بشرتها بالصفرةِ وتهاوت
في سَرِيرِ المرضِ من سوءِ التغذيةِ ! ليُطرحَ «الطبيب» على
الوالدةِ سؤالا غريباً: «ألا تُطْعِمِينَهَا؟»... نعم، اذ هي غالباً ما تنسى
أن تُقَدِّمَ للطِفلةِ المأكَلَ، فانشغَّالُها الدائمُ «بِمَشَاكِلِها» و«أناها» الذي
يعاني عقداً يَعْجُزُ أمْهَرُ أطباءِ التحليلِ النفسي عن إيجادِ حلولٍ حقيقيَّةٍ
له أَعْمَها حتى عن حاجاتِها البيولوجيَّةِ كالطعامِ والشَّرَابِ.

الوضعُ السياسي والأمني مَزِدٌ للعَياةِ، و«بنت النور» حديثَّة
الولادة لأبسطِ شروطِ الحُبِّ تَفْتَقِدُ، بيدَ أن الفِطْرَةَ البِيضاءَ والوداعةَ
الصَّافِيَّةَ التي يَمْنَحُها المكونُ لكاناتِها تجعلُ طَاقَةَ الإيجابِ رغمَ
عنفِ الأنفُسِ مُشْعَّةً، وتوقِظُ الحِياةَ رغمَ قبحِ الظروفِ؛ وأنَّ «سَبِيَّ»

الأجسادِ و«وَأَد» الأبدان لا يُطفئُ نشوة الأرواح!
 وتتأمل «بنت النور» طفولتها الهاربة مِنْهَا وتُراقِب انصرام
 الأعوام بعين دَامِعَةٍ، وكوردة تنبعث رائحتها ولو سُحِقت بالأقدام
 تكتب:

وَعَيْدَاء تَفْتَحُ عَظْرَهَا عَاصِفَةً ...

أُسْكِرَتْ مِنَ الْعَالَمِينَ أَرْوَاح

فَمَا أَكْثَرَ الْوُرُودِ

الَّتِي تُوَلِّدُ كُلَّ آنٍ

وَلَهَا فِي صَمْتِ

الْغِيَاهِبِ انْتِهَاء

مَدَّتْ رِذَاءَ الصَّبْرِ

فَوْقَ أَنَانِيهَا

عَلَّهَا تَمَسُّحُ بِالْحَبَّةِ

بَعْضَ الْحِرَاحِ

مُسَبِّتَةٍ هِيَ!

حَتَّى قَبْلَ وَلَا دَيْهَا
فَلَا تَمْلِكُ اخْتِيَارَ
وَلَا فِي عَرَفِ الذُّكُورِ
يَجُوزُ لَهَا امْتِلَاكِ !
فِي صَحْرَاءِ الْقَهْرِ
تَوَادَّ كُلَّ يَوْمٍ
تَضْمَحِلُّ حَلَاوَتَهَا

وَهِيَ تُكَافِحُ ... تُكَافِحُ
تُكَافِحُ ... يَرْفُقُهَا

تُبْحَثُ .. عَنْ نَسَمَةٍ
تُتَعَشُّ مِنْهَا الْفُؤَادُ

تَتَلَقَّسُ ... فُطْرَةَ مَطَرٍ
عَسَى ... يُمْنَحُهَا
بَعْضُ الْحَنَانِ

جَمَعْتُ دُمُوعَ الْقَلْبِ
رَغْمَ انْفِطَارِهِ

فَلَهَيْبِ الرَّمْضَاءِ
أَسْأَلَ حَتَّى الرَّمَالِ

فَأَنْزَوَى الْجَمَالُ
يَسُدُّوْ حَنَّ فَنَائِهِ

فَرَّقَهُ الْمَكَاجَاةُ
تُوقِظُ فِيهَا الْحَيَاةُ

فِيرْتَدِ صَدَى أَلْمَهَا صَادِحًا :-

أَيَّا حَبِيبَةِ رُوحِي

لَا تُفْلَقِي ...

فَسِرُّ الْمَحَبَّةِ ... أَنَّهُ مُسْتَأْنَفٌ

وَسَيَبْزُغُ الْفَجْرُ

عَلَى وَجْنَتَيْكَ رَاقِصًا

فَارْتِعَاشُ جَمَالِكَ

جَسَدُ انْشِغَافًا .. وَافْتِنَانًا ...

شَرَارَةُ الْحَرْبِ وَ شَرَانِقُ الطَّائِفِيَّةِ

تتوق «بنت النور» لجزيرة الأغاني في بحر الأحزان تَوَقُّ
 رضيعٍ لِحُلُمٍ هَادِيٍّ هَانِيٍّ... كانت الأيام عَقَبَ ولادتها تَمُرُّ بِثِقَلٍ
 رَتِيبٍ كَثِيبٍ، والأمن في حُكْمِ المَعْدُومِ ! تَزْدَادُ آلامُ المُجْتَمَعِ وتزداد
 في حياة الأفراد المُحِيطِينَ بها شُرُوحُ !

والدتها تحيكُ الليالي بَضَجِ الأَحْلَامِ وحنَقِهَا على الأيام
 يَشْتَعِلُ، تَحْمَلُ رَضِيعَتَهَا الَّتِي لَا تَكْفُ عَنْ الْبُكَاءِ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا وَتَزْرَعُ
 أَرْضَ الْمَمَرِّ بَيْنَ الْغُرَفِ بِخَطَوَاتِ هَدَّارَةٍ غَاضِبَةٍ، تَرْوِحُ وَتَجِيءُ
 وَالصَّبْرُ فِي وَجْدَانِهَا قَدْ نَفَدَ، تُطِلُّ مِنَ النَّافِذَةِ تُحَدِّقُ فِي الْمَجْهُولِ،
 بِالْأَمْسِ عَنِ الْإِنْجَابِ كَانَتْ رَاغِبَةً وَ لِلْخَوْفِ مِنْ سَخَطِ «الرَّبِّ» فِي
 الْأَجْهَاضِ رَاهِبَةً، تُسَرِّحُ عَيْنُونَهَا، وَتَهْمُّ بِرَمِي وَلِيدَتِهَا مِنْ سَابِعِ دَوْرٍ
 عَلَّهَا تَتَخَلَّصُ مِنْ مَسْئُولِيَّةِ تَكْبَدَتِهَا دُونَ اخْتِيَارٍ !

صَوْتُ الرِّضِيعَةِ لَا يَخْفِتُ أَبَدًا يَحْفِرُ فِي صَمِّ الْقُلُوبِ الْغُلْفُ
عَلَّهْ يَجِدُ ثَغْرَةَ آمِنَةٍ، فَكَلَّمَا ازْدَادَ ضَيْقُ الْأُمِّ عَلَا الْبُكَاءُ وَالنَّحِيبُ،
وَكَأَنَّ الصُّرَاخَ صَدَى أَلَمِ الْعُنْفِ الْمَشْتَعِلِ فِي الْأَفْنَدَةِ ...

كَيْفَ لَا؟ وإحساس المولود بطاقات السِّلْبِ مُرْهَفٌ،
والرضيع أَصْدَقُ مُؤَشِّرٍ فِطْرِيٍّ، وَعَنْ بَرَاءَةِ صِبْغَةِ الْخَالِقِ لَا يَحِيدُ
أَبَدًا، وَهُوَ الَّذِي حَلَّ لِنَوِّهِ فِي عَالَمِ الْأَبْدَانِ وَلَمْ يَخْتَبِرْ نَكْدَ الْأَنْفُسِ بَعْدَ!
تَنَرَّدِ الْأُمِّ وَ«تَتَعَقَّلُ» وَتَسْنِفُ السَّلْوَانَ، فَتَهْدَأُ الطُّفْلَةَ وَتَنَامُ بَعْدَ عَنَاءٍ
لِلَّيْلِ طَوِيلٍ!

الليل عليها موَحْشٌ وَتَنْتَظِرُ زَوْجًا يَتَهَرَّبُ مِنْ سِجَالَاتِهَا
مَعَهُ بِالسَّهَرِ خَارِجَ الْبَيْتِ تُفَكِّرُ فِي الدَّقِيقَةِ بِالْانْفِصَالِ عَنْهُ أَلْفَ
مَرَّةً وَتَتَمَسَّكُ بِهِ أَلْفَ مَرَّةً وَمَرَّةً أُخْرَى... فَالْانْفِصَالُ عَنِ الشَّرِّيكِ
فِي عُرْفٍ - بَنَاتِ «الْأَصُولِ» فِي ذَاكَ الزَّمَانِ - غَيْرُ وَارِدٍ نِهَائِيًّا!
هَذِهِ وَاحِدَةٌ؛ أَمَّا كَيْفَ سَتَتَدَبَّرُ أَمْرَهَا الْمَادِي وَالْمَعْنَوِي حَالَ الْانْفِصَالِ
فَوَاحِدَةٌ أُخْرَى أَهَمُّ مِنْ سَابِقَتِهَا، وَتَكَالِيفُ الْحَيَاةِ لَا تَرْحَمُ وَأَبْوَابُ
أَهْلِهَا فِي وَجْهِ عَوْدَتِهَا مَوْصَدَةٌ بِأَقْفَالِ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَاقْتِصَادِيَّةٍ شَتَّى.

إِذْنٌ لَا تَرَى فِي غَيْرِ الْمُسَاءَلَةِ الْمَحْمُومَةِ وَالنَّكَدِ سَبِيلًا
 لِلتَّعَاطِي مَعَ «زَوْجٍ» مُهْمَلٍ. تَبَحُّثٌ عَنِ الْآلِيَةِ الْإِلَازِمَةِ فِي حَرْبِهَا
 الشَّعْوَاءِ، فَتَتَّخِذُ مِنَ الْخَطَابِ «الْإِلَهِوتِي» مِتْرَاسًا لُتَدِينَنَّ بِهِ أَفْعَالُ
 الشَّرِّيكِ وَتَضَعُهُ فِي خَانَةِ «الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» وَأَعْوَانِهِ مِنَ الْأَبَالَسَةِ
 أَجْمَعِينَ، وَتُضْفِي عَلَى نَفْسِهَا هَالَةً «مُقَدَّسَةً» تَحْفَهَا أَجْنَحَةُ الْمَلَائِكَةِ
 وَيَحْرُسُهَا رِضَى «الْإِلَهِ» فِي أَعَالِي السَّمَاءِ!!! نَعَمْ فَهِيَ التَّحَقُّقُ
 لِقَوَّاهَا بِرُكْبِ «جَمَاعَةِ دِينِيَّةِ أَصُولِيَّةٍ» تَمْنَحُ مُنْتَسِبِيهَا الْغَفْرَانَ الْمُبِينِ
 وَتُرْسِلُهُمْ إِلَى الْجَنَانِ غَرًّا مُحَجَّلِينَ مُكْرَمِينَ ، وَتَجْعَلُ مِنْ كَافَّةِ الْعِبَادِ
 الْآخَرِينَ كُفَّارًا وَفَجَّارًا إِلَى جَهَنَّمَ دَاخِلِينَ دَاخِرِينَ .

فَيَتَحَوَّلُ نِقَاشُهَا مَعَ «الزَّوْجِ» مِنْ مَجْرَدِ أَسْئَلَةٍ مَشْرُوعَةٍ
 وَسِجَالٍ عَادِيٍّ إِلَى شَتَائِمٍ وَعَوِيلٍ وَيَنْقَلِبُ الْحَدِثُ مِنْ مَجْرَدِ سَهْرَةٍ
 عَابِرَةٍ، إِلَى الْإِعْلَانِ الْكَاسِحِ الْمَاسِحِ عَنِ حَرْبِ «جِهَادٍ مُقَدَّسٍ»
 ضِدَّ «الزَّوْجِ الْمَلْعُونِ» وَشُرَكَائِهِ مِنَ «الْأَبَالَسَةِ» أَصْحَابِ السَّهْرِ
 وَالْمَجُونِ! وَيَنْتَهِي الْأَمْرُ بِإِحْرَازِ «النَّصْرِ الْمُبِينِ» وَاعْتِزَارِ الْبَعْلِ
 عَمَّا صَدَرَ مِنْ تَقْصِيرِهِ بِحَقِّهَا وَبَدْرٍ، وَمَا عَنْهُ فِي غَيْبَتِهَا اسْتَتَرَ!

وَمَعَ كُلِّ مَطْلَعِ شَمْسٍ وَمَعَ غَيْبِ كُلِّ مَغِيبٍ تَلَاسُنٌ وَ نِقَاشٌ
عَنِيفٌ عَقِيمٌ، حَتَّى أُمِسَتْ النِّزَاعَاتُ فَصُلَا يَوْمِيًّا وَطَقَسَا رَسْمِيًّا فِي
فُصُولٍ مَسْرُوحِيَّةٍ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ امْتَدَّتْ عُقُودًا طَوِيلَةً كَادَتْ لَا تَنْتَهِي،
حَتَّى ظَنَّ الْأَطْفَالُ أَنَّ الْأَمْرَ «نِظَامُ كُونِي» كَالْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ وَانْتِظَامِ
وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَ«قَدْرًا» طَبِيعِيًّا كَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّوْمِ وَسَائِرِ
الْأُمُورِ الْمُعَاشَةِ...

تَزَامَنْتْ صُورَةُ الْأُسْرَةِ فِي هَذَا الْبَيْتِ الْمُنْقَسِمِ مَعَ وَاقِعِ بَلَدٍ
مُمَزَّقٍ يَتَنَازَعُهُ الْعُنْفُ وَتُحْرِقُهُ الْأَحْقَادُ وَتُشْرِدُهُ الْمَوَاجِعُ ، وَقَدْ بَلَغَ
بُؤْسُ الْأَرْوَاحِ مَدَاهَ فَتَحَوَّلَ الْمَجْتَمَعُ «الْلُبْنَانِي» حِينَهَا إِلَى «شَرْنَقَاتِ
طَائِفِيَّةٍ» وَتَجَمَّعَتْ مَذْهَبِيَّةٌ وَجَزَبِيَّةٌ تَغْلِي تَحْتَ رِمَادِ حَرْبٍ ضُرُوسٍ،
النَّاسُ تَتَعَسَّكِرُ فِيهِ فِي مَعْسَكَرَاتٍ «طَائِفِيَّةٍ» غُنْصَرِيَّةٍ مُقَيَّتَةٍ!

فَهَذَا يَتِمَّتَرُسُ بِشَهَادَةِ «عِلْمِيَّةٍ» يَحْمِلُهَا- وَكَانَ لِصَحَابِ
الشَّهَادَةِ وَقْتُهَا بَيْنَ النَّاسِ شَأْنٌ عَظِيمٌ- وَيُخْرِجُ إِلَى الْبَشَرِ شَاهِدًا سَيفَ
«شَهَادَتِهِ» بِوَجْهِ «الْجَهْلَةِ» ، نَاعِتًا الْغَيْرَ «بِقِلَّةِ الدَّرَاسَةِ وَالْفَهْمِ»
وَأَنْ اخْتِصَاصَهُ «الْعَظِيمِ» مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَنْتَشِلَ الْعِبَادَ مِنْ أَرْمَاتِهِمْ
وَمِحْنَتِهِمْ، فَيَتَعَامَلُ مَعَ «الْبَسْطَاءِ» بِاسْتِعْلَاءٍ وَفُوقِيَّةٍ مُفَزَّزَةٍ!

وذاك اتَّخَذَ مِنْ حِزْبِهِ «إِلْهًا» فَعَكَفَ فِي مَحَرَابِهِ السِّيَاسِيِّ،
وَتَمَسَّحَ بِمَحَازِيْبِهِ، وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَتَزَلَّفُ التَّقَرُّبَ مِنْ مَسْئُولِيهِ
عَسَى مِنْ «مَنْفَعَةِ الْعُنْفِ» يَنَالَهُ جَانِبُ الشُّهْرَةِ وَالْمَجْدِ، فَشَهَرَ سِلَاحَهُ
بِوَجْهِ «الْأَبْرِيَاءِ» وَارْتَكَبَ أَثْبَعَ الْمَجَازِرِ بِحَقِّ «مُخَالَفِيهِ» لِيُصْبِحَ
فِيمَا بَعْدَ «رَمَزًا وَطَنِيًّا» وَ «مَسْئُولًا كَبِيرًا» فِي حُكُومَةِ «التَّوَافِقِ
الطَّائِفِي» !

وَهُنَاكَ مِنْ يَتَخَنَّدَقُ بِخَنْدَقِ «الدِّينِ» فَيَحْمِلُ مِفْتَاحَ الْجَنَانِ
«بِيَدِهِ» وَيَعْضُ عَلَيْهِ «بِنَوَاجِذِهِ» حَتَّى يَبْتَلِعَهُ مُهْدَدًا الْآخِرِينَ بِنَارِ
جَهَنَّمَ سَعِيرًا، الَّتِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَاحَةً لِلْبَشَرِ، جِزَاءَ لَهُمْ عَلَى
«كُفْرِهِمْ» وَ «فَسَقِهِمْ» وَ «فُجُورِهِمْ» كَوْنَهُمْ لَمْ يُسَايِرُوهُ وَيَطَاوَعُوهُ
وَيَدْخُلُوا فِي خُرْمٍ مُعْتَقَدِهِ وَتَنْظِيمِ شَرِيعَتِهِ!

كَانَ اللَّبْنَانِيُّونَ حِينَهَا - كَمَا الْيَوْمَ - بِأَبْدَانِهِمْ يَتَلَقُّونَ،
وَبِالسِّنَتِهِمْ يَتَشَامَتُونَ و«يَتَشَامَطُونَ»، وَعَلَى شَاشَاتِ الرَّدْحِ
الْإِعْلَامِيِّ «يَتَنَاقَشُونَ»، وَلِلْأَحْزَابِ يُوسَّسُونَ، وَلِلسَّلَاحِ حَامِلِينَ،
وَفِي الْأَزِيقَةِ مُتَنَفِّرُونَ، وَلِلزَّعِيمِ طَائِعِينَ مُزْعِنِينَ، وَفِي كُلِّ حِينٍ
يَجْمَعُونَ وَيَطْرَحُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهْيِمُونَ، وَيَقُولُونَ عَلَى
الدَّوَامِ مَا لَا يَفْعَلُونَ !

ولم يَمِرَّ عام 1975 إلا وَتَحَوَّلَ لبنان الى سَاحَةِ حَرْبٍ
دَامِيَةٍ، وَتَحَوَّلَ وَسْطُ بِيْرُوتِ الى رَمَادٍ أَسْوَدَ، وَقَوْدَهَا الْأَسَاسُ غِيَابُ
الْوَعْيِ وَتَلَاشِي الْحِكْمَةِ وَسَيْطَرَةُ الْفِكْرِ الْمُنْعَلِقِ الْمُنْتَدِّرِ بِأَحْزَابِ
«عُنْصَرِيَّةٍ» تَرِيدُ أَنْ تَلْغِي مَا سِوَاهَا وَتَمْسَحَهُ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ،
زَاعِمَةً أَنَّهَا تَعْمَلُ مِنْ «أَجْلِ لِبْنَانِ الْعَظِيمِ» أَوْ مِنْ «أَجْلِ قَضِيَّةِ
فَلَسْطِينِ». وَكُلٌّ يَعلَنُ عَنْ حَرْبِهِ «عَمَلًا وَطَنِيًّا» مُبَارَكًا وَ«جِهَادًا
ضَرُورِيًّا مُقَدَّسًا»، وَهُمْ بِذَلِكَ زَاعِمُونَ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ فَاعْلُونَ
وَلِصُكُوكِ الْغُفْرَانِ مَانِحُونَ وَلِمَفَاتِيحِ الْفَرْدُوسِ مَالِكُونَ، وَأَنْ قِتَالَهُمْ
وَلَوْ أَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ هُوَ النِّصْرُ وَالْفَتْحُ الْمُبِينُ ! أَنَّهُ «صِرَاعُ الْآلِهَةِ
فِي الْمَدَنِ الْمَقْدَّسَةِ» !

وتخط «بنت النور» بمداد نُون التكوين في عين المحبة
سجلات «آلهة» الأرض:

• حديث في الهيكل

الكاهن الأول :-

الْمَدُنُ الْمُقَدَّسَةُ مِنَ السَّمَاءِ نَازِلَةٌ
هِيَ مَسَاكِينُ الْأَلِهَةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ

الكاهن الثاني :-

فَأَيُّنَ يَكُونُ الْأَبَالِيسَةُ ؟

وَهَلْ يَسْتَخْلِفُونَ الْأُمُصَارَ ؟

وَيَسْتَعْبِدُونَ الْأَحْرَارَ ؟

فَمَا فَائِدَةُ تِلْكَ الْمَدْنِ الْمَقْدَّسَةِ؟

الكاهن الثالث :-

عَلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ سُلْطَانُهُمْ
وَنَحْنُ مِنْ شَجَرَةِ الْخُلْدِ سُلْطَانُنَا

الكاهن الثاني :-

أَلَيْسَ آدَمُ أَرَادَ الْخُلْدَ لِنَفْسِهِ
فَضْرِبَ بَيْنَ الْخُلْدِ وَبَيْنَهُ بِكَوْكَبٍ؟

الكاهن الأول:-

هُوَ وَرَثَ الْأَنْسَى فِي الْعَالَمِ الْأَدْنَى
أَمَّا نَحْنُ فَالْوَرَثُ الْأَعْلَى وَمِيرَاثُنَا

الكاهن الثاني :-

إِنْ كَانَ بِنَاءُ الْمَكَائِنِ ...
مِنْ صُنْعِ الْأَبَالِسَةِ
فَأَيْنَ فِيهَا دَوْرُ الْإِلَهَةِ؟

الكاهن الثالث :-

لِلدُّوْلِ انْقِضَاءٌ ...

يُظْهِرُ الشَّمْسَ رُسُلًا

وَيَسْأَلُ الْبِلَادَ هَيَاكِلُ تُبْنَى

الكاهن الأول :-

إِذَنْ فَلْيُخْرِجِ الْأَعْمُورَ إِنْ حَرَجَ

وَنُصِرَ الْمُخَلَّصَ

إِنْ كَانَ مِنَ السَّحَابِ قَدْ نَزَلَ

الكاهن الثالث:

هِيَ حَزْبُ السَّمَاءِ إِذَنْ!

عند جَبَلِ الزُّيُتُونِ

عَلَى أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةِ

الكاهن الثاني :-

الويلُ الويلُ ..

الويل ...

لِسُكَّانِ مَمْلَكَةِ الْأَرْضِ!
سَتُحَرِّقُ الْمَمَالِكَ فِي صَرَاعَاتِ الْآلِهَةِ!

• أَسْطُورَةٌ تُتَلَّى :
سَمِعْتُ حِوَارَ الْكَهَنُوتِ
سَكْرَى ...
لَا وَلَسْتُ بِالْحَدِيثِ آيَهَةٍ

إِنْ كَانَ الْحِوَارُ هَمَسَاتِ آيَهَةٍ
فَكَيْفَ يَخْتَمِرُ بِوَيْلَاتِ حَرْبٍ وَهَاطِيَةٍ؟؟

وَإِنْ كَانَ نِقَاشُ أَشْرَارٍ
فَمَا شَأْنِي بِسِجَالَاتِ الْأَبَالِسَةِ !

وَإِنْ كَانَتْ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ
تَحَرَّكَ مُسْتَقْبَلُ الْآخِرِينَ مِنْهُمْ
حَرْبًا وَسَلَامًا

فَأَيْنَ صُنَاعِ الْأَسَاطِيرِ ؟
لِيُتَسَجَّجُوا لِلسَّلَامِ مَتًى
أَلْفَ أَلْفِ حِكَايَةٍ !

تَبَرَّأْتُ رَوْحِي مِنْ كُلِّ حَرْبٍ
وَنَحْوِ التَّوَرِ أَطْلُقَ قَلْبِي

عِنْدَ عَيْنِ الشَّمْسِ
لَتُولَدَ فِي نَوْنِ الْحَبَّةِ

حَبْرٌ عَلَى خُبْرٍ

وَتَنُمُو «بنت النور» بجسدٍ نحيلٍ ورُوحٍ سماوية، تَخْتَلِفُ
عَنْ قَرِينَاتِهَا، مُحِبَّةٌ لِلوَحْدَةِ خجولة، ولم تُعْرِفْ عَنْ عَرَائِسِ الْبَنَاتِ
وَلَعِبِهِنَّ الْكَثِيرِ، فَبَعْدَ أَنْ أَنْجَبَتْ أُمُّهَا طِفْلَهَا الثَّالِثَ أَصْبَحَتْ بَيِّنَ
صَبِيَّيْنِ بِالْعَابِ خَشْيَةً وَحَرَكَاتٍ خَطِرَةٍ، وَمَلَابِسٍ لَا تَحْمِلُ الْكَثِيرَ مِنْ
دَلَعِ حَوَاءٍ، فَشَعَرَهَا يُقْصَرُ رَغْمًا عَنْهَا بِاسْتِمْرَارٍ، وَمَظْهَرُهَا يُوحِي
بِإِهْمَالٍ بَالِغٍ .

أولى خُطَوَاتِهَا فِي الْحَضَانَةِ لَمْ تَكُنْ لَتُنْسَى أَبَدًا، وَهِيَ
حَاضِرَةٌ فِي ذَاكِرَتِهَا بِتَفَاصِيلِهَا الصَّغِيرَةِ الْمُملَةِ، فَالْمَدْرَسَةُ كَانَتْ
بَائِسَةً كَمَا حَالُهَا، أُمُّهَا تُلْبِسُهَا بِنِطَالًا ذَا حَمَّالَاتٍ عَلَى الْكَتِفِ تَحْتَ
مَرِيلَةٍ خَضِرَاءٍ صُمِمَتْ لِبِرَاعِ الرُّوضَاتِ عَلَى شَكْلِ قَمِيصٍ أَزْرَارُهُ
لِلْخَلْفِ؛ فَيَتَعَذَّرُ عَلَى الطِّفْلِ الْمَسْكِينَةِ خَلْعُ بِنِطَالِهَا لِدُخُولِ الْمَرَحَاضِ،
وَأَنْ اسْتَطَاعَتْ فَكَ أَزْرَارُهُ بِصُعُوبَةٍ فَإِنَّهَا لَنْ تَتِمَّكَنَ مِنْ إِعَادَتِهَا
ثَانِيَةً دُونَ خَلْعِ الْمَرِيلَةِ وَهُوَ أَمْرٌ مُتَعَذِّرٌ، مِمَّا يَضْطَرُّهَا إِلَى إِمْسَاكِهِ
بِيَدِهَا طِيلَةَ الدَّوَامِ خَشْيَةً أَنْ يَهْبِطَ أَرْضًا إِلَى حِينِ عَوْدَتِهَا إِلَى الْبَيْتِ

البائس، وكثيراً ما كانت تَحْصُرُ بُولَهَا طيلة اليوم مع استحمال الألم والحرقة كي لا تَضْطُرَّ لخلع هذا البنطال الحقيق الذي كانت تكرهه كثيراً. كانت تحلم بالفساتين الزهرية والحُمراء والشعر الطويل الأملس ذي الضفيرتين والشرائط البيضاء والجوارب الجديدة أسوة بصويحاتها، على الأقل سَتَتَمَكَّن من قضاء حاجتها دون أن تَتَسَخَّحَ مَلابسها . هي تكره هذه العملية المقيته كرهها للمراحيض المفقدة لأدنى شروط السلامة علاوة على النظافة، وكثيراً ما ترتجف ركبناها وجلا عند رؤيتها تلك الحفرة المقرقة وكم مرّة جراء ذلك استَحْمَلَتِ المغص الشديد الذي تَحُولُ إلى إِكْتَامٍ مُزْمِنٍ لَازِمَها بقية حياتها .

ومع تَكَرُّرِ النزلات البردية التي كانت تُصِيبُهَا تَحُولُ أنفها اللزج الى كُرَّةِ حَمراء متَشَقَّقَةٍ جَرَّاءِ الرِّشْحِ المستمر فَنَمَسُّهُ بِكَمِّ كَنْزَتِهَا الصُّوفِيَّةِ الخَشْنَةِ؛ وَكَمْبُرِدٍ يَحْزُ اللحم الطريّ تسيل الدماء ممزوجة بعصارة صفراء .

كانت تَحْلُم بِحَقِيبَةٍ وَرَدِيَّةٍ مملوءةٍ بالمَحَارِمِ الورَقِيَّةِ المعطَّرةِ
النظيفة، وتنتظر بحسرةٍ الى حَقَائِبِ صديقاتها الجَمِيلَةِ الممتلئةِ
بالمأكولاتِ الشَّهِيَّةِ الملفوفةِ بأوراقِ نظيفةٍ وأكياسٍ لَمَاعَةٍ و محارمٍ
بيضاء مرتَّبةً، فحقيبتها السوداء الجلدية المهترئة التي حُولت إليها
بعد أن أمضت سنواتٍ في خدمة أخيها الأكبر نادرا ما تحتوي على
طعامٍ ، وإن احتوت فعلى لفافةٍ يابسةٍ يسرُحُ فيها الزَّيْتُ بِصَحْبَةِ
الزَّرْعَرِ وَيَمْرَحُ، وقد نُقِشَ الحَبْرُ الأسود على الخبز الأبيض بعد
ان تكفل الزيتُ بحلِّ الجريدة المهترئة التي تُغْلَفُ هذا «السندويش»
الرديء.

فرح بنت النُّور بالطعام عارم وإن كان خبزا يابسًا، فغالبا
ما تُنْسَى دون وَجبتها الغذائية، وكم مرة سألتها مُعلِّمة الحضانة عن
فطورها فتجيب المسكينة بهدوء يلامس الخُشُوع : «تناولته باكرا»،
عزَّة نفسها تأبى ان تقبل حتى ضيافة قريناتها ولو تَصَوَّرَت جوعًا.
وتسمع همس المُعلِّمات قبل نهاية الدوام بقليل ؛ أو يُعَقَّل
أن يكون حال هذه الطفلة ذات الأربعة أعوام على هذا النحو؟!!

فعائلُها ميسورة الحال! تتسائل إحداهنّ، «أمها مهمة ومشغولة
بأمور الآخرة!» تجيبها الأخرى.

وتسرح «بنت النور» في خيالٍ جميلٍ تبني بيوت العرائس
بأحلامها وتزين قصور الأقزام بالكرات الملونة وتنام، تنفّس تحت
فراشها فور نهوضها باكرا وتبحث جيّدا عن هديّتها، فلا تجد شيئا،
وتعيد الكرة مرات ومرات، إنه صباح «عيد الميلاد» هكذا حكّت
المعلمة وأخبرت أن للأطفال اليوم هديّة يُحبونها، واليوم عطلة!
تتردد ثم تتحمس وتسأل والدتها عن العيد فتزعق الأم وتنزعق: «لقد
أفسد الكفرة عقول الأبرياء بأعيادهم! لقد غزونا بمعتقداتهم الفاسدة،
لقد دمرنا ديننا! انها مفسدة وليست مدرسة! ولماذا المدرسة
ف«شيخنا» يحرمّ تعليم البنات ويجرّمه بعد سن العاشرة! لابد من
نقل البنت الى مدرسة «إسلامية» حتى ذلك الحين!

كلامٌ كبيرٌ وخطيرٌ لم يستوعبه عقلُ البرينةِ الصغيرةِ غير
أنها فَهَمت أنها ستكون حبيسة هذا البيت وبئس المصير! لا تعرف
الحساب ولكن حتى سن العاشرة وقت طويل جداً وهو أكبر الأرقام
التي تعلمتها!

تتحرر بصمت في عيد الميلاد؛ الجميع من حولها فرحون
بعض أقاربها زينوا بيوتهم بأشجار جميلة براقية، اللون الأحمر
يذهب بقلبها الى عالم ساحر. «السينئون العصاة الفجرة الكفرة»
فقط هم الذين بهذا العيد يحتفلون، وهم بـ«النار الحامية الكاوية»
سيُعذبون! هكذا قالت لها والدتها!

لا تعرف ما معنى «الكفار» ولكن على ما يبدو هم الناس
«السعداء» الفرحون بالأعياد وبالحياة مرحون، إنهم يغنون
وللموسيقى يستمعون، يلبسون ما يشتهون وفي الحفلات يرقصون!
يالهم من محظوظين!

والدتها تَصَبُّ جامَ غَضَبِهَا اللفظي على «الآخرين»،
تَعْبِيرَات لا تَفْقَها الصَّغِيرَة ولكنها تحمل في طَيَاتِ بعضها التقدير
لآخر «مميز» لا يُمكن ان تدانيه فَنَشْتَمُه، فَنَتَعَت مذهبِه هذا
بـ«منزلق الكفر» وَذَاكَ بـ«الضالَّ»، وآخر بـ«الفاجر المجرم»،
وتُضِيف هم يستمتعون بـ«الدنيا الفانية» أما «المؤمنون فلهم
«الآخرة الباقية»، وكأنَّ السَّعَادَة بالحياة لا تَجْتَمَع و«الايمان»
أبدًا، وزاد في حِدَّة مزاجها العدائي المُتَطَرَف الحرب الطائفية التي
قَسَّمت اللبنانيين إلى فِسطاطين كبيرين، وكل فسطاط يشتمل على
أحزاب وتوجهاتٍ شَتَّى، وكلَّ حزبٍ بما لديهم فرحون، وتَرى أن
هذه الحرب الضروس «نِعْمَة سماوية» و«هبة ربانية» أرسلها
«الله» ليعيد الناس الى «جادة الصَّواب»، يكفي أن زوجها لم يعد
يَجِد مالاً ولا مكاناً للسَّهر، وبدأت تلوح في أفق المجتمع ظاهرة
«الحجاب» بعد أن كانت حتى أواسط السبعينيات مَعْدومة في
الوسط البيروتي و«السني» ومقتصرة بشكل محدودٍ جدًّا على
بعض العجائز و«الفقراء» وبعض الخدم، وبدأت «الأصوليات»
والجماعات بالتشكل.

ثَمَّةٌ عَفْوِيَّةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَهَا الْكِبَارُ فِي تَصَرُّفَاتِ تِلْكَ الصَّغِيرَةِ، فَ«بِنْتُ النُّورِ» كَانَتْ تَرَى الرَّاشِدِينَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْحَمَقَى يَتَكَلَّمُونَ بِاسْتِمْرَارٍ وَهُمْ غَاضِبُونَ وَمُسْتَعْجِلُونَ عَلَى الدَّوَامِ، إِنَّهَا تُحِبُّ اللَّعِبَ بِأَبْسَطِ الْأَشْيَاءِ فَتَمْضِي سَاعَةً تَلْهَوُ بِخَيْطِ تَرْبِطِهِ، وَفِكْرَةُ تَلْوِينِ الْأَظْفَارِ رَائِعَةٌ بِالنِّسْبَةِ لَهَا وَإِنْ كَانَتْ مِنْ عَمَلِ «النِّسَاءِ الْمُنْحَرَفَاتِ» حَسَبِ تَوْصِيفِ وَالدَّتْهَا، أَمَّا قِصُّ الْأَشْيَاءِ السَّخِيفَةِ فَمُتْعَةٌ لَا تُدَانِيهَا سَائِرُ الرِّغَابَاتِ؛ كَانَتْ تَعْدُّ أَصَابِعَهَا وَتُحَاوِرُهَا وَتَتَكَلَّمُ مَعَ يَدِهَا النَّحِيلَةِ، وَلَا جَوَابَ عِنْدَهَا لِأَسْئَلَتِهِمُ الْخَرْقَاءِ مِثْلَ «مَاذَا تَفْعَلِينَ؟» وَلَا تَفْهَمُ مَعْنَى «اجْلِسِي بِأَدَبٍ» !

كَانَ رَأْسُ أَصْبَعِهَا الْاَوْسَطِ لِيَدِهَا الْيُمْنَى كَثِيرَ «الدَّوْحَاسِ» دَائِمَ الْاَلْتِهَابِ وَالْاَحْتِقَانِ، أَحْمَرٌ مُتَبَيِّسٌ ذَا رَأْسٍ أَبْيَضٍ حَيْثُ يَتَجَمَّعُ الْقَيْحُ، وَالصَّغِيرَةُ تَحَاوِلُ أَنْ تَقْضِمَ الْأَلَمَ مَعَ مُحِبَّتِهَا الشَّدِيدَةِ لَهُ فَهُوَ أَطْوَلُ أَصَابِعِهَا وَ«أَكْبَرُهُمْ» لَكِنَّهُ مُسَكِينٌ ضَعِيفٌ، فَكَانَتْ تَقْبَلُهُ بِاسْتِمْرَارٍ وَتَمْنَحُهُ حَنَانَهَا، وَتُرْوِي لَهُ الْقِصَصَ، وَتَغْنِي لَهُ كِي يَنَامُ، وَتَغْطِيهِ بِلِفَافَةٍ كِي لَا يَشْعُرُ بِالْبَرْدِ، وَتَبْكِيهِ عِنْدَمَا يَنْزِفُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ

القيح، وتُعزّيه بأن الألم لاشك زائل وسيكون جميلاً، ولكن سرعان ما يلتهب الاصبع نفسه من جديد وتعود الكرة مرة أخرى حتى أصبح منحنيًا ذا شكل مشوّه.

أصابع قدميها ليست أفضل حالا، لا سيما في فصل الشتاء حيث تُصاب بخدر مؤلم لا يُنسى، قدماها الصغيرتان من شدة البرد مُقرزة ولونها يميل الى زرقاء أرجوانية مشوبة بالحمرة كألوان الشفق عند الغسق، ونصيب الأصبع الكبير من الوجع عظيم، فجرباها كانا على الدوام مُمزقين ومنقورين ككوة دائرية يُطلّ منها الظفر ليحفر في حذاءها الضيق الذي تبلله الأمطار، فتتحول الجوارب إلى ثلاجة تُجمّد الشعيرات الدموية التي يحزّها الظفر المنغرز . كم مرّة شعرت بالإحراج الشديد عند زيارة صويحاتها و اضطرت الى خلع حذاءها فتعلّل سبب ارتدائها له بأن جواربها الجديدة في الغسيل! كانت تنظر الى جوارب ابنة عمها البيضاء المخرّمة الفارهة وإلى حذاءها «سكربينتها» اللماعة ، يالها من محظوظة !

وتتفحص بنت النور خُشونة يدها الآن وتُطيل النظر إلى
إصبعها بتشوهه الطفيف إنه يكتنز آلام طفولتها الأولى ، وهو الآن
جافٌ مُتَشَقَّقٌ كبقية أقرانه وقد حُفرت فيه من فرط الاعمال المنزلية
خطوط سوداء مقوَّسة؛ تفرکہا يوميا بالحامض فيذهب السواد وتبقى
التشققات ؛ يقولون أن البصمات وخطوط اليد تحمل تاريخ الانسان
ومستقبله، لكنها اليوم تتعافى من جراحات روحها عبر وعي
التجارب كلها دون ضغينة على أحد. لطالما سيجت أحداث طفولتها
بالأحلام الوردية وكثيرا ما طوت آلامها في خزائن النسيان، وعملت
على تعويض هذا الحرمان فيما بعد، وهي تفهم الآن سبب هوسها
باقتناء الملابس المريحة القطنية والجوارب الفارهة!

وعت التجربة والاختبار وعذرت مُرَبِّيها وإهمالهم وغفرت
خطاياهم، واجتازت الهوس والرغبة في التعويض، وكقصبة فارغة
صار جسدها قيثاره حبّ خالية عن الرغبات لا تريد شيئا وعقلها
مستريحاً لقد اكتشفت لتوها العلل الأولى لسبب المشكلات، لقد
فتحت خزانة حياتها مشرَّعةً لرياح أيلول، ولعواصف تبدد النسيان.

لكن السَّماح خبرة لا تكتسب أو تُعَلَّم! وهي فردية ربما؛
وربما تتحول الى الجماعة، ولكن كيف للشعوب ان تمحو البؤس من
تاريخٍ مثقلٍ بدماء الأبرياء، وهل آلام الحروب تُبَدِّد؟ وهل الضحايا
سيغفرون لجلاديهـم؟! تتمنى ذلك وتكتب :

لَأَيُّوَل...سَلام
مِنَ حَنَائِيَا الْقَلْبِ.... يَبُيعُ
أَتَرَكَمُ تَأَمُّلاً وَلَغَةً الْأَزْوَاجِ تُرَاوِدُنِي
أَقْصُ صَفِيرَتِي أَمَامَ أَرْزَةِ
بِالسُّمُوسِ عُلِّقَتْ
لَا تُنَحِّنِي ...
لَا... وَلَا أَمَامَ دَهْرِ
عَقَرَهُ الْعُنْفُ بِالرَّمَادِ
كَالسُّمُوسِ الْمُضِيئَةِ ... تُشْرِقُ دَوْمًا
فَلَا الْأَنْوَاءُ مَمْنَعُهَا
وَلَا بِظِلَامِ السَّحْبِ تَكَثَّرْتُ

عَاوِدُنِي أَكَالِيلُ الرَّثْبِقِ
مَغْرُولُهُ بِدَمُوعِ الْمَاقِي... تَنْتَحِبُ
حَفَرُ الزَّمَانِ عَلَى الْوَجَنَاتِ
مَجْزَرَةٌ.....
بِأَسْلَاءِ الْأَبْرِيَاءِ... تَرْتَسِمُ

وَقَامَ سَفَاحٌ بَعْدَ الْأَمْسِ.... يَعْذَرُ
كَإِخْوَةَ يُوسُفَ ظَنَّ أَنَّ الْبُكَاءَ... بَرَاءَةٌ
وَأَنَّ الْوَطْنَ بِالْأَعْذَارِ.... يَنْتَفِعُ
فَلَا يَعْقُوبُ... صَدَّقَهُمْ
وَلَا التَّارِيخُ... جَارَاهُمْ
أَلَا لَيْتَهُ فَهَمَّ... كَمَا الْأَحْرَارُ
إِنَّ السَّلَامَ بِرَغْمِ جَرَائِمِهِ... سَيَنْتَصِرُ

أَنْتَ... عَلَى فُؤَادِي
حَمَامَةٌ ... تَكُلِّي
تَطْوِي... جُرْحَهَا
فَاخْتَصَّصَهَا الْقَلْبَ ... حُبًّا
لَعَلَّ الْجَنَاحَ بطيب السَّمَاحِ يَنْفَرِدُ

آهات الحرب و متآهات التهجير

محبّة «بنت النور» لنفسها في طفولتها الأولى لامتناهية كاملة النرجسية كإمبراطورة تتربع على عرش ذاتها شديدة الاعجاب بمواهبها، وهو أمرٌ في عرف «الأغبياء» و«المربين» جريمة لا تُغتفر، وعلّة لا بدّ من الجذورِ اقتلاعها بستار «التهذيب» و«التأديب»، فتجتمع مافيات «الدين» و«السياسية» و«التربية» لانجاز هذه المهمة التدميرية في مجتمع احترف الخداع!

عليها أن تُحب الآخرين كي تكون فتاة صالحة!

عليها أن تحب أهلها وذويها ولو ذاقت مرّ العذاب منهم! أليس «الله» يقول: «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا»¹

لا بدّ من الطاعة التامة والتبعية الكاملة لـ«الراشدين».

مجتمع مجنون مؤذٍ يجب أن ترضيه بل وتحبه!؟

«بنت النور» لم تكن تحبّ تلك «الجنة» التي يتكلم عنها ممثلو «الرب»! كانت بائسةً عاجزة عن التعبير وهي ترى والدتها تحيا حياةً مجنونةً مؤذيةً، فتوقظها من أحلامها الوردية أواخر الليل «لأداء واجب الصلاة» منتعلة حذاء ذا كعبٍ عالٍ تجوب به الدار محدثةً به جلبةً عظيمةً، لتبدأ حملة ترتيل «صاخبة» تفتتحها «بالاستغفار» المزعج محدثةً صفيراً وأزيزاً يصمّ الآذان، وتتبعها بتلاوة زاجرة «للآيات»، وتنتهي الأمر بموعظة ساخطة لأولئك النائمين «العصاة»!

البرد قارس و«بنت النور» لا تحب مغادرة الفراش الدافئ، ونعاسها شديد دائم ولا تعرف النوم إلا قليلاً فقد تكفل الشجار العنيف بين والديها من حرمانها منه حتى منتصف الليل، فيما تكفلت «الأم المؤمنة» بحرمانها منه سحراً حتى انبلاج الفجر! لا بأس إذن فقد انطوت ليلة بائسة... فالى المدرسة حيث تنهار جفونها على طاولة الصف!

عليها ان تحب «الآخرين» إذن ولو كانوا «مزعجين» و«مؤذيين»، عليها ان تحب «الله» الذي يعبد «آباؤها»... عليها ان تكون ليّنة مطيعة!

تنزوي في زاوية الغرفة تتسلى بقصّ الورق تبحث عن دفترٍ قديمٍ أو مجلةٍ مهترئةٍ ، فتجد «مصحفاً» ذا غلافٍ أحمر طالماً حُفِظَتْ منه أجزاءٌ بدايةً نُطقها وهي الآن في السادسة من عمرها، تتأمل بعمق الغلاف وتفتحه، تراه غير مسلٍّ أبداً فلا توجد فيه صورةٌ واحدةٌ وهو من الألوان والأشكال خالٍ، إنه كتابٌ كريمٌ ومقدسٌ شريفٌ. «جميعهم» على ذلك متفقون!

لا تجيد القراءة بعد، غير ان كلامه بلاشك صعب وغير مفهوم بالنسبة لها، بيد أن أمراً وحيداً تعرفه جيداً وتختبره، وهو أن والدتها تعاملها بشكل سيئ وتحرمها من كلّ مبهج «بسببه» وطالما قرعتها وأُنبت الآخرين بآيات منه. تتلفت من حولها مذعورةً وجلّةً، وتتأكد من خلوتها، وتطلق لغضبها وحزنها العنان !

كتابٌ جليلٌ مقدّسٌ لا يصلح عيش الانسان دونه، هكذا يقولون ! فلماذا إذن لا يُولد الطفل وبيده كتاب أو على الأقل يجيد القراءة كي يستطيع فهمه دون مساعدة «الكبار» ؟ لماذا علينا نحن «الأولاد الصغار» أن نستجدي أولئك الحمقى كي يفهمونا ما هو ضروري؟ لماذا يتحكّمون بنا ؟ أسئلةٌ تزدحم في رأسها الصغير

الصيف حارٌّ ومُمِلٌّ! لا شيء يمكن فعله ضمن جدران المنزل سوى الانصياع التام لتعليمات أم احترفت النكد وتوجيهاتها وخطتها وزياراتها المكرورة، وحال لبنان لا يبدو بخيرٍ هدوء حذر تخرقه معارك هنا وهناك، شوارع بيروت تحوّلت الى ما يشبه الخنادق بمتاريس ترابية واسمنتية، «الفدائيون» يملؤون أحياء الفاكهاني وطريق الجديدة ومحيط الجامعة العربية، كانت تصغي الى تذرُّم والدها المتكرر من الوجود الفلسطيني المسلّح الذي عطلّ مصالح أهل المنطقة وأرزاقهم عبر تسكير الأحياء وقطع الطرق ...

إنه صباح يوم الجمعة الرابع من حزيران 1982 وبنت النور تنتظر يوماً جميلاً فريداً، فستزورها ابنتا عمها وستجلبان معهما العرائس الجميلة ، كم هو ممتع تمام الانغماس باللعب! لم يمضِ وقت قصير حتى تناهت أصوات قصف غير بعيد؛ وجَلَّ الأهل وهمّت أم البننتين بالرحيل و الأطفال يرجون من وقت اللعب المزيد، وهم ببراءتهم بالأحداث «الضخمة» غير أبهين، فهؤلاء الراشدون «معانيه» ومن أبسط الأشياء وجلون!

يقولون ان غارة شنتها «اسرائيل» لتوّها على المدينة الرياضية في بيروت! لا معنى لذلك سوى ان اليوم الجميل قد أفسده الكبار بخوفهم!

وتوالت الأحداث ولم ينتصف حزيران إلا وقررت العائلة مغادرة لبنان إلى دمشق. بنت النور سعيدة بأجواء الفوضى العميمة تلك! على الأقل ثمة ما يزيح الملل! فالكبار الآن إلى القضايا «المهمة» منصرفون، وحول السياسية والأحزاب يتحدثون، وعن «تأديب» الأطفال منشغلون!

في دمشق اجتمعت عائلات لبنانية عدة في شقق متجاورة؛
فيا له من أمر رائع! اللهو مع الأقارب والأطفال متاح ليل نهار!

صيف سائرٌ بالنسبة لبريئة لا تجيد الا اللهو في صغير الهوايات، وهي لا تفهم سبب تعاسة الكبار وشجارهم المستمر عن «الميراث» وعراكم المتواصل حوله، وتذمرهم المستمر من طريقة العيش و«التهجير». والدها قرر اللحاق بأهله الذين اتجهوا الى حمص حيث استملكوا بيتاً، فيما الأم أعلنت رغبتها البقاء في دمشق مع ذويها «أصحاب الدين» فليلق «الزوج الملعون» بأهله أصحاب «السهر والفجور والسفور»!

صيف ساخن أمضاه الأطفال بين نار التنقل والترحال على طريق (الشام- حمص)، لينتهي مطاف التشطي مع حلول الخريف في شقة بمنطقة «المزة فيلات» قدّمها لهم أحد الأصدقاء ليقيموا بها مؤقتًا حتى تضع همجية الحرب أوزارها.

وبالريف الدمشقي في قرية «بلودان» الوداعة ثمة كنيسة عتيقة عشقتها «بنت النور» واتخذت من فنائها مسرحًا لفنونها، تُطعم فيها العصافير وترصد حركة النمل يتنقل بين الأوكار وتعانق جذع شجرة هرمة عتيقة، وكم مرة جمعت لحي الأشجار المتساقطة وأوراق الخريف وضمت منها طوقًا زيتنًا به عرائسها! مكان ساحرٌ خلاب تعشقه بكل المقاييس! لكنه «معبد للضالين» هكذا يقولون! والصغيرة لا تأبه بكلامهم!

لا تريد للشمس أن تغيب، وتناشد السماء أن تمنحها فرصة البقاء أطول ما يمكن في سحر هذه القرية. ماذا سيحلّ بأصدقائها العصافير من بعد رحيلها وكيف للقطّة البيضاء أن تلعب من دونها؟ لكن اقامتها هنا لأيامٍ معدودة! هكذا يقولون! تبًا لهم ولأقوالهم ولقراراتهم!

الكبار حول الحرب يتهامسون، وعن موعد عودتهم الى بلادهم يتساءلون، الأخبار مقلقة فإسرائيل اجتاحت لبنان وجيشها في بيروت منتشر، فما هم حيال الأوضاع فاعلون !

ثمة خبرٌ عاجل عن راديو مونت كارلو يشير الى اغتيال الرئيس اللبناني «بشير الجميل»¹ ، أحدهم يصيح «الله ينجينا»! الخوف كل الخوف من ردود فعل انتقامية، والانظار نحو فلسطيني لبنان موجّهة!

الكبار لا يتوقفون عن الكلام ومتابعة الاخبار عبر المذياع و«بنت النور» بهواياتها وصديقاتها منهمكة !

في بيت بلودان المستأجر تلفازٌ صغيرٌ صندوقه بلاستيكي ذولونٍ أحمرٍ مبهجٍ تغطيه قطعة «كروشه» سمراء، لم يجزؤ أحدٌ من الأطفال على لمسه لأنه في عُرف «الأتقياء» «شيطان رجيم» و«عدو للأخلاق مبين»! ومن أراد معرفة الاخبار فموجز قصير

1 - سياسي لبناني وقائد عسكري في «حزب الكتائب» انتخب رئيسا للبنان في 23 اغسطس 1982 خلال الاجتياح الاسرائيلي، تم اغتياله يوم الثلاثاء في 14 سبتمبر 1982.

عبر المذياح يَكْفِيهِ و هو ما يجيز «الشرع» سماعه بحكم الضرورة و«الضرورات تبيح المحظورات» ! وإذا ما أعقب الخبر أغنية سارع الجميع الى إخماد هذا «البوق الجهنمي اللعين»، كيف لا وسماع «الموسيقى» جريمة كبرى تستوجب «صب الحديد الحامي في أذن سامعيه»! إذن فما ظنكم بجريمة مشاهدة التلفاز «مسرح الشياطين»؟

جهازٌ خطر لا يقتنيه إلا الفجرة! فبيوت «الأتقياء وأهل الجنان» من شرّه خالية، ولولا ان البيت الجبلي هذا مستأجر بفرشه لتمّ تحطيمه أسوة بأصنام الجاهلية الأولى!

وتسرح «بنت النور» في خيالٍ جامح تداعب مخيلتها صور العرائس في أفلام الكرتون؛ و تمنى نفسها: أيا ليتنا نشاهد شيئاً منها اليوم ، يا له من صندوق مبهج ! كم مرّة استرقت النظر إليه من بيوت الجيران وكم مرّة رغبت في الجلوس أمامه بمنزل جدّها ! إنه أداة ساحرة جميلة !

ولكن لا بأس من اللعب في فناء الكنيسة حتى الغروب والشمس تغيب مسرعة في الايام المبهجة ! أقل النهار ولا بد من الأفول معها إلى البيت بسرعة !

ثمة «عجيبة» تحصل! الكبار امام التلفاز مجتمعون !
وتسرع البريئة الصغيرة لتحتل مكانا أمام شاشته الصغيرة ، تريد
ان تشاهد كل التفاصيل بكل حواسها!
صورٌ مقززة لأشلاء متناثرة وجثث منتفخة، وعجوز
نُحِر أمام عصاه وقد سقطت من يده بطاقة الهوية اللبنانية وعلى
قدميه طفل تكوّم ! بشاعة المجزرة لم تخففها رداءة استقبال بث
تلفاز الأبيض والأسود ! ياله من حظّ سيئ ! كانت البريئة تظن ان
التلفاز يروي القصص الجميلة الممتعة فقط...إنها مجزرة صبرا
وشاتيلا المروّعة¹ ! إنها كارثة !
وتسقط من عين «بنت النور» دمعة تنسكب بكاءً حارًّا

1 - مذبحة نفذت في مخيمي صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين في 16 أيلول 1982 واستمرت لمدة ثلاثة أيام. ووفق تقرير البي بي سي ومنظمات حقوقية غربية فإنها تمت على يد المجموعات اللبنانية المتمثلة بحزب الكتائب اللبناني بعد ان اجتمع ارييل شارون بمقاتلي الحزب عقب اغتيال بشير الجميل ودعاهم الى الانتقام موجهة الاتهام الى الفلسطينيين بعد ان حاصر الجيش الإسرائيلي المخيمات . عدد القتلى في المذبحة لا يعرف بوضوح و بي بي سي تقول ان عدد القتلى 800 فيما تقول المصادر الفلسطينية 3500 قتل من الرجال والأطفال والنساء والشيوخ المدنيين العزل من السلاح، أغلبيتهم من الفلسطينيين و من بينهم لبنانيون أيضا. ويتبين لاحقا ان الذي اغتال الجميل هو «حبيب الشرتوني» مسيحي قيل انه ينتمي لحزب القومي السوري .

حزنا على المناظر وأسفًا ! فتُخرجها إحدى الحاضرات الى الغرفة
المجاورة مهدئةً من روعها قائلةً إننا نعيش هنا بأمان بعيدين عن
كل الأشرار!

ويعمق أحداث الماضي بنت النور تغوص، مشاهد المجازر
تتكرر أنا بعد أن، بالأمس أطفال قانا دماؤهم عفرت التراب، ثم
ماذا؟ أه مما يحصل الآن! وحبر الاقلام جف وصفًا وأسى، ثمّة قليل
منه يكفي لرسم بعض من بقايا السلام؛ الكل تبرأ من المجزرة، ترى
من هم الفاعلون إذن والعدالة تشي ان الذنب يقع على البعض ولكن
مسؤولية الجريمة يتحملها الكل؛ فتكتب بعد انقضاء ثلاثة عقود:

مررت ببوابة التاريخ أنظر

أرقب أقنعه تهاوى

قناعاً تلوا القناع

أشتت ...

رائحة خميرة حرب مدونة

في قلب البشرية ... الآن

لن نخدم أنفاسي

ولن يقهرني ... طول ليل مسحور

أضد جراح الإنسان

ألتقط كل القهر...

المصلوب على الجدران

يَسْقُطُ قَنَاعُ «الْحَرِيَّةِ»
وَيَتَهَاوَى قَنَاعُ ... «السَّلامِ»
يَتَكَسَّرُ...
على أسوار مدينة ... أحيرام
يسقط ... من يدي قَلَمٍ
تضيعُ الحُرُوفُ العَابِرَةُ
تتلاشى ... الرسوم
تختلطُ الألوانُ

أضيء ليلاً شُموع السَّلامِ
وأصلي ...
لأجساد أطفالٍ عَقَّرَهَا التُّرابُ

كَيْفَ تُكُونُ رِيشتي بَعْدَ الْيَوْمِ

نَهَارِكَ يَا بَيْروُثَ ؟؟؟؟

كَيْفَ أُرَمِّمُ بِالْحُرُوفِ الصَّائِغَةِ

لِيُثَلِّكَ يَا لُبْنَانَ ؟؟؟؟

و سَيُوفٌ... أَشْهَرَتْ

حَزَّ الرِّقَابِ... تَلَوْ الرِّقَابِ..

تَلَوْ الرِّقَابِ....

فَهَلْ قَدَرْنَا أَنْ نَكُونَ قَرَابِينَ مَعْبُودٍ ؟؟؟

وَهَلْ قَدَرْنَا لُبْنَانَ إِنْ يَكُونُ مَذْبَحَ إِنْسَانٍ ؟؟؟؟

مِنْ صَبْرًا... إِلَى شَتَاتِيلا

مِنْ قَانَا....إِلَى الْقَاعِ

مِنْ الْغَازِيَةِإِلَى الشَّيَاخِ

من أُمَّ تعجُنْ خبزًا
إلى طفلٍ يرتعُ
عند زيتونةِ ذاك البستانِ

ضمير الانسانية مخدّرٍ
أُغْرَقَ في سُبَاكٍ إدمانٍ

إليك يا لبنان المحبّة
من منفى الجرح
إليك يا بيروت من تغريبتي
بعضًا من الحنان

من هناك...
أُطِلُّ إِلَيْكَ الآنَ أَخْطُ سَطَوْرًا
ودانهُ...أغزلها من دموع عيونِ
الأمهات..
إكليلاً... يَرْطَبُ ترابَ إنسان

فسلامًا لبنانَ إِلَيْكَ
وسلامًا لك ...
من فوق كلِّ الحضاراتِ
من فوق كلِّ الأديانِ

من فوق كلِّ حاجزٍ
من فوق كل بنيانٍ

أعبرُ قرونًا من التقنية المدمرة
أطوي كلَّ معتقِدٍ
أسلكُ طرقًا تتقاطع مع كل أنسانٍ
أعبرُ مستويات الوجود الآن
أعبرُ الواقع والذات
أطيرُ إلى أبعد.. من أبعدِ جَوْهَرٍ
أجتاوز الأسباب ... والمسببات
أمرّ.. فوق كل الكلمات والتسميات

هناك عند الرُّوح تهاداً رُوحِي
و تُسكن عند إبداع ... انسان
فما آلمني
صراعٌ أدلجتُ أطرافه
واكتويت لجرح
أي كائنٍ
وأعبرَ اليومَ لأجلِ إنسان

وتعتبر «بنت النور» الى المجهول فالماضي لم يعد يعني لها شيئاً، ولا غاية مستقبلية لها ، تعيش أنتها وحسب ، فتمام قطع الجذور جراحة أنجزتها لتوها عقب سرد المعاناة والغوص في التجربة، ولم تعد بالأمس بعيدة وقريبه متأثرة ولا بتاريخ الأمم مكرثة لقد تحررت من الاعتيادي المعروف ، أخبار صراعات «المنطقة» كمكبّ نفايات تخلصت منها، هؤلاء المجانين والمهووسون بالقتل يتزايدون ومن اجل خططهم يتناحرون ! وباسم الرب يتذابحون !

ألا ليتهم كالبهائم يعيشون ! ألم يروا أن المحيط يطوي حاملات الطائرات كما يمنح أحياء الحياة، والأرض مازالت كما كانت تطوي ذكرى الحروب تحت شجرة الزيتون ...وَجُودٍ لا حدود له تشرق الشمس ... والغيثُ من السحاب ينزل... والعشب ينمو دون استئذان....

حمقى يهدرون دماءهم "لحماية الحدود" أليست الحدود
خطوطاً رسمها الغابرون؟ أليس الطير يعبرها بلا جواز سفر ودون
اعتراف من أحد ودون ان تفتشه "الجمارك"؟ " أفلا ينظرون إلى
الأرض كيف تُبَادِلُ شرورهم بِعطاء لامتناهٍ؟

ومن صميم الألم المُرتَسِم على وجه الانسانية من هول الحروب
والمجازر.... تهبُّ عَنَقَاء السلام مِن تَحْت الرَّمَاد على الدوام...

• صَمْتُ الْمَدَائِنِ :-

صَمَّتْ ضَفَائِرُ طِفْلَةٍ ...

عَلَى وَجَنَةِ فَجْرِ

شَعَّ بَيْنَ الْحَرَائِبِ

وَتَوَارَى فِي حُضْنِ الْبَتُولِ

قَهَرَ .. اخْتَرَقَ بِعَيْنِيهِ

صَمْتُ الْكُنَائِسِ

وَكَأْسٌ مِنْ يَدِ صَبِيَّةٍ هَوَى

عَلَى شَفَتَيَّ جَنِينٍ

يَتُّنُ ... بَيْنَ الْحَارِقِ

سُكِبَ الشَّرُّ جُنُونًا

فَاسْتَفَاقَ الْأَسَى

بِهَژ ...

وَيَهْزُ جُدْرَانِ الْمَدَائِنِ

عَلَى أَجْنَحَةِ مَلَاكِ الصَّبْرِ

أَرْوَاحِ الْأَطْفَالِ تُسَافِرُ

وَبِكَاتٍ عَشْتَرَوْتَ ... يَسْكُبْنَ الْحُزْنَ

لَأَمٍ ... دُبِحَتْ بَيْنَ الْخَمَائِلِ

• في خان يونس :

وَعَجُوزٌ كَقَدِيمِ التَّارِيخِ

تَسَاءَلَتْ:

إِنْ أَحْرَقْتُمْ بَيَّارَةَ الْأَجْدَادِ

وَسَجَّنْتُمُوهَا.....

فَإِنَّ حُرِّيَّةَ رُوحِي

أَبَدًا....وَأَبَدًا تُقَاوِمُ !

خَضِرَاءُ هِيَ ...
بِالتُّورِ أَغْرِسَهَا
بِاخْضَرِ زَيْتُونَةٍ
بَزَيْتِ الْمَسِيحِ عَجْنَتُهَا
وَسَابَقَى ...
وَسَابَقَى
عَنْ غُصْنِ الزَيْتُونِ.. أَدَافِعُ!

• أنشودة وُرْدَ:

فِي حَيِّ الزَّيْتُونِ....

رَضِيعٌ

مَا زَالَ لِلْحُبِّ يَغْنِي

.....

يُرْتَلُ أَنْشُودَةُ وَرْدٍ

بِرَغْمِ الْأَلَمِ ...

بِرَغْمِ الْجُرْحِ ...

وَبِرَغْمِ الْقَهْرِ... يَغْنِي!

وَيُعْنِي-

فَلْتَأْخُذُوا عَنِّي الْعَايِي
وَلْتَنْزِعُوا مِنِّي مُرْضِعَتِي
وَلْتَحْرِمُوا الْحَيَاةَ لِحَسَدِي

فَلَا نَهَايَةَ لَأُغْنِيَنِي
لَا..... وَلَا حَدًّا لَأُحْلِمِي
وَسَابَقِي....
بِرَغْمِ الْحِصَارِ أَعْنِي

سَابَقْتُ فِي قَلْبِ كُلِّ الْأَطْفَالِ
وَسَابَقِي...
وَسَابَقِي بِرَغْمِ الْعُنْفِ ... أَعْنِي

وَأَعُودُ.....

ولو مَتُّ أَعُودُ

وَأَعُودُ ...

عَبَّرَ الْأَكْوَانِ أَعُودُ

أَتَكُونُ عَزْفاً... وَأُغْنِيَهُ

وَسَأَبْقَى بِرَغْمِ الْمَوْتِ... أُغْنِي

وَلَأَجِلَ الْأَحْرَارِ أُغْنِي

• وَأَكْتُبُ فِي مَفْكَرَتِي :

أَرَى حَمَامَةً تَتَنَفِّضُ
هَنَّاكَ عِنْدَ بُرْكَانٍ هَائِجٍ
وَقَفْتُ وَهَوْلُ الدَّمَارِ أَعْمَانِي
عَنْ سِرِّ الْجَحِيمِ أَسْأَلُهَا.

هَلْ هِيَ أَكِلُ السَّلَامِ بِجَمَاجِمِ الْأَطْفَالِ تُبْنَى ؟
أَمْ أَنَّ مَمْلَكَةَ الرَّبِّ بِالْأَسْأَلِ حِيكَتْ ؟
وَهَلْ قَرَابِينَ الْآلِهَةِ مَذَابِحُ رُضِعَ ؟

دَمَعَتْ رُوحَهَا تَنْهِيدَةً مَلَتْ سُرُورَ بَنِي الْبَشَرِ :-

اللَّهُ وَاحِدٌ.....

و”آلِهَةٌ” الْأَرْضِ كَثُرَ

فِي كُلِّ آنٍ يَتَفَاتَلُونَ !

وَبِأَسْمِ الْمَكُونِ يَتَعَارَكُونَ !

وَعَلَى الْإِنْسَانِ يَتَأَمَّرُونَ !

.....

فَأَغْمِدِي سَيْفَ

يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مَحَبَّةً

فِي قَلْبِ الْكَائِنَاتِ

عَلَّنَا بِالْحُبِّ نَعِيدَ بَهَاءِ الْوُجُودِ



تَبَنَّتْ النُّورَتَيْنِ بَدِينِ الْحُبِّ

1 - رائعة من فن الخط العربي تمثل صورة امرأة نظمت بأبيات شعرية لمحبي الدين ابن عربي يقول فيها : أدِين بدين الحب أَنَّى تَوَجَّهْتُ * رَكَائِبُهُ، فالحب ديني وإيماني» ، وهي من اعمال الفنان حسن موسى وهو ناقد فني سوداني من مواليد 1951 ومقيم حاليا في فرنسا .

إِلَهُ الْعَائِلَةِ وَبَنَتُ النُّورِ

كَانَ بَيْنَ أَفْرَادِ عَائِلَتِهِ كَطَاوُوسٍ بَيْنَ أَفْرَاحِ الدَّجَاجِ، إِنْ تَكَلَّمَ طَاطَأُوا رُؤُوسَهُمْ إِذْعَانًا وَمُوَافَقَةً، وَكَأَنَّ اللَّهَ قَدْ انْتَدَبَهُ مُمَثِّلًا لَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَاتَّخَذَ مِنْهُ رَسُولًا وَتُرْجُمَانًا لِشَرْعِهِ الْحَكِيمِ؛ وَإِنْ غَضِبَ ارْتَجَفُوا خَوْفًا مِنْ بَأْسِهِ، وَرَاجِعُوا فِي ذَوَاتِهِمْ أَلْفَ أَلْفِ حِسَابٍ، وَأَنْبَأُوا أَنْفُسَهُمْ كَمُجْرِمِي حَرْبٍ يُحَاكَمُونَ أَمَامَ سُلْطَانٍ عَادِلٍ.

كَانَ وَاسِطَةُ عَقْدِ عَائِلَةٍ مَكُونَةٍ مِنْ خَمْسَةِ أَفْرَادٍ يَحْتَلُّ فِيهَا تَرْتِيبُ الثَّلَاثِ، تَصْغَرُهُ صَبِيَّتَانِ وَتَكْبِرُهُ أُخْتُ وَأَخٌ شَاءَ الْقَدَرُ أَنْ يَسْلُبَهُ سَمْعُهُ وَنَطْقُهُ وَهُوَ طِفْلٌ رَضِيعٌ.

اتَّجَهَ نَحْوَ أَيِّدِيُولُوجِيَّةِ الْجِدَارِ وَهُوَ لَا يَزَالُ طَرًّا أَمْرَدًا، فَوَقَعَ فِي قَبْضَةِ «رَجُلٍ دِينٍ» لِيَتَلَقَّى مِنْهُ تَعَالِيمَ جَعَلَتْ مِنْهُ ذَنْبًا عَقَائِدِيًّا بَيْنَ نِعَاجِ فِطْرِيَّةٍ؛ فَاتَّخَذَ مِنْ «الشَّرِيعَةِ» حِصْنًا مَنِيعًا لِيُطْلِقَ سِهَامَ «التَّكْفِيرِ» و«الْجَهْلِ» عَلَى مَنْ هُمْ حَوْلَهُ. فَكَانَ لَا يَرَى فِي حَيَاةِ الْآخَرِينَ الْمَخْتَلِفِينَ عَنْهُ إِلَّا «جَاهِلِيَّةً كَافِرَةً» تَسْتَحِقُّ الْاِقْتِلَاعَ

بـ«الْجِهَادِ»، فابْتَعدَ عَنِ الْبَشَرِ وَتَظَاهَرَ «بِالْتَّدِينِ» وَنَصَّبَ نَفْسَهُ
«مُصْلِحًا» لِمُجْتَمَعِهِ وَ «وَاعِظًا» لِأَقْرَانِهِ وَ«قَوَّامًا» عَلَى إِخْوَتِهِ
أَجْمَعِينَ.

وَأَعْلَنَ الْعِصْيَانَ عَلَى وَالِدِ رَوْوْفٍ قَضَى حَيَاتَهُ فِي فَنِّ
الْعَيْشِ النَّبِيلِ مَعَ إِخْوَانٍ لَهُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ أُنْبَاءِ الطَّوَائِفِ الْأُخْرَى
وَالسَّعْيِ عَلَى الْعَائِلَاتِ الْفَقِيرَةِ وَالْأَرَامِلِ الْمَسْتُورَةِ .

أَعْلَنَ الابْنُ الْحَرْبَ الضَّرُوسَ عَلَى وَالِدِ حَدَاثِي لِأَسْبَابٍ لَا
تُحْصَرُ، كَيْفَ لَا وَهُوَ يَتَعَامَلُ مَعَ «كُفَّارٍ» وَيَسْعَى فِي حَوَائِجِهِمْ،
وَيُرْتَكَبُ «الْمُوبَقَاتِ» بِعَدَمِ امْتِثَالِهِ لِكِرَاسَاتِ وَصَايَا «رِجَالِ الدِّينِ»،
وَذُنُوبِهِ تِلْكَ فِي عُرْفِ الابْنِ الْمُؤَدَّلِجِ كَثِيرَةٌ وَكَبِيرَةٌ، وَتَسْتَحِقُّ الرَّجْمَ
وَالْجُلْدَ وَإِقَامَةَ الْحَدِّ، الْأَمْرُ الَّذِي حَوْلَ الْبَيْتِ الْهَانِئِ الْمُنْفَتِحِ عَلَى
حَضَارَةِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ إِلَى جَحِيمٍ مُقِيمٍ، وَتَكْنَةُ تَعُودٍ لِلْقُرُونِ
الْوَسْطَى خَاضِعَةً لِنَعَالِيمِ «الْأَخِ الْقَائِدِ» الَّذِي أَخَذَ يُمْلِي إِرَادَتَهُ عَلَى
أَخِيهِ الْمُعَوَّقِ وَأَخَوَاتِهِ الْبَنَاتِ.

ولم يَلْبَثِ الأَمْرُ غَيْرَ بَعِيدٍ إِلَّا أَنْ اخْتَارَتْ رُوحَ الوَالِدِ الكَهْلِ
الانِعْتَاقَ إِلَى مُكَوْنِهَا قَبْلَ أَنْ تُتَمَّ عَقْدُهَا السَّادِسَ لِتَرْتَاخٍ مِنْ مُنَاكَدَةِ
الابْنِ وَتَكَالِيفِ الحَيَاةِ.

اغْتَبَطَ الابْنُ أَيْمًا اغْتِبَاطَ بُوفاةِ الوَالِدِ المِسْكِينِ المُفَاجِئَةِ،
وَأُورِثَ نَفْسَهُ «الزُعَامَةَ» الرِّسْمِيَّةَ عَلَى والدِيَّةِ وإخْوَتِهِ، كَيْفَ لَا
وَكَانَ الأبُّ عَقَبَةً كَوُودًا فِي وَجْهِ سُلْطَانِهِ، فَمُنَحَ نَفْسُهُ الحَقَّ الحَصْرِيِّ
بالتَّصَرُّفِ المطلقِ فِي كُلِّ الشُّؤُونِ وَأَصْبَحَ الأَمْرُ النَّاهِي الوَحِيدَ
المُخَوَّلَ بِصَرْفِ «الوصفات الروحية»، وَتَوَزَّعَ بَيِّنَاتُ الشَّجَبِ
وَالِإِدَانَةِ، وَمُنِحَ «صُكُوكِ الغفرانِ» وَ «الحرمانِ الدِّينِيِّ»، فَالزَّمَ
أُخْوَاتِهِ بِتَعَالِيمِهِ الجَائِرَةِ، وَأَخَذَ يُطْلِقُ «الفتاوى» الشَّاجِبَةَ لِكُلِّ مُبْهَجٍ
فِي الحَيَاةِ، وَيُحَرِّمُ كُلَّ سَبِيلٍ لِلْعَيْشِ الرِّغِيدِ، وَيَرَى فِي كُلِّ طَرِيقَةٍ
مُخَالَفَةً لِرَأْيِهِ دَرْبًا مِنْ دُرُوبِ إبْلِيسَ اللِّعِينِ .

كَانَ يَزْهَوُ بِنَشْوَةِ الانتصارِ وَيَتَهَادَى بِارتِيَاكِ سُلْطَانِ مَلَكٍ
مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَعَارِبِهَا، وَيَرَى أَنَّ الرَّبَّ « بَارِكُهُ » مِنْ غَلَاهِ
وَحُلَّصَهُ مِنْ سُلْطَةِ الأبِّ «المُنْحَرَفِ» لِيَقُودَ العَائِلَةَ المَصُونَةَ إِلَى
بِرِّ «الإيمانِ» وَفَسِيحِ «الجَنَانِ» فَهُوَ «مَخْلَصٌ» زَمَانُهُ الَّذِي بُعِثَ
لِهَدَايَةِ الْعَالَمِينَ.

فَكَانَ إِنْ أَمَرَ إِحْدَاهُنَّ بِفِعْلٍ ظَلَّتْ جَامِدَةً صَامِتَةً، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ
أَدَانَهَا مِنْ عَرْشِهِ بِذَنْبٍ عَظِيمٍ وَبِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ؛ فَمَنْ تِلْكَ الَّتِي تَتَجَاسَرُ
وَتَرْفَعُ عَيْنَيْهَا كَيْ تُنَاقِشَهُ وَهُوَ «سَيِّدُ الْعَائِلَةِ» و«إِمَامُ الْإِتْقِيَاءِ
الْوَرَعِيِّنَ»؛ وَإِنْ هُوَ أَتَى عَلَى صَنِيعٍ أَحَدِهِمْ فَهَذَا يَعْنِي أَنْ بَرَكَهَ
«قُدْسِيَّةً» مِنَ السَّمَاءِ حَلَّتْ لِتَوَّاهَا عَلَى صَاحِبِ هَذَا الْفِعْلِ فَاسْتَحَقَّ
النَّعِيمَ الْمُقِيمَ.

وهكذا، كُنَّ ضَعِيفَاتٍ تَعِيسَاتٍ مُكْبَلَاتٍ بِقَيْدِ قَنَاعَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ
الْمُنْحَرِفَةِ، وَأَسْرٍ مُعْتَقَدَاتِهِ الْعُسُوفَةِ، وَأَغْلَالِ شَرِيعَتِهِ الْجَامِدَةِ
الظَالِمَةِ؛ وَكُنَّ بِفَقْرِهِنَّ الْعَقْلِيَّ مُكْتَفَاتٍ، وَبِحَاجَتِهِنَّ الدَّائِمَةَ لَاعْتِرَافِهِ
«بِنِزَاهَتِهِنَّ وَتَقْوَاهُنَّ وَوَرَعِهِنَّ» مُفْتَقِرَاتٍ، وَمِنْ غَضَبِهِ الْمُسْتَطِيرِ
وَجَلَاتٍ، وَلِرِضَاهُ عَلَى الدَّوَامِ طَالِبَاتٍ.

قَادَهُنَّ الْقَدَرُ إِلَى الزَّوْاجِ السَّرِيعِ؛ فَوَاحِدَةٌ تَزَوَّجَهَا تَاجِرٌ لَمْ
تُحِبَّهُ يَوْمًا قَطُّ، فَشَنَّتْ عَلَيْهِ الْمَعَارِكَ «الْكَاسِحَةَ» تَلَوَّ الْمَعَارِكَ لَاعِنَةً
سُلُوكَهُ «الْفَاجِرَ» عَلَى الدَّوَامِ، كَوْنَهُ لَا يَجِدُ فِي أُخِيهَا إِمَامَ الْخَلْقِ وَسَيِّدَ
الْمُرْسَلِينَ.

أما الثَّانِيَةُ فزُوجَتْ مِنْ قَرِيبٍ لَهَا ذِي مَزَاجٍ مُتَغَيِّرٍ وَآرَاءٍ مُتَقَلِّبَةٍ، وَلَا يَعْرِفُ لِلْإِسْتِقْرَارِ سَبِيلًا، فَعَاشَتْ مَعَهُ فِي حَالَةٍ انْتِقَالٍ دَائِمٍ وَتَرَحُّالٍ مُسْتَدِيمٍ، وَاخْتَفَى خِلَالِ الْحَرْبِ الْأَهْلِيَّةِ اللَّبَنَانِيَّةِ قَبْلَ أَنْ يُنْهِيَ مَعَهَا غَامَهُ السَّابِعَ تَارِكًا لَهَا عِدَّةَ أَطْفَالٍ، فَاتَّخَذَتْ مِنْ شِعَارِ «الْأُمِّ الْفَاضِلَةِ» سِتَارًا لِمُمَارَسَةِ مِهْنَةِ النَّكَدِ، وَمِنْ قَانُونِ «الْوَصَايَةِ عَلَى أَوْلَادِهَا» حِرْفَةً لِلْإِحْتِيَالِ عَلَى أَهْلِ زَوْجِهَا .

وَالثَّالِثَةُ اخْتَارَ لَهَا أَخُوَهَا زَوْجًا يَنْتَمِي بِعَقْلِهِ إِلَى عَهْدِ «قِرَاقُوشٍ»، فَكَانَتْ تَقْبَعُ فِي عُبودِيَّةٍ تَامَةٍ كَامِلَةٍ لَا تَعْرِفُ لَهَا مَلَادًا سِوَى مَرِّ الْبُكَاءِ، وَلَا تَعْلَمُ عَنِ الْحَيَاةِ سِوَى جُدْرَانٍ أَرْبَعَةٍ، وَذِكْرِيَّاتٍ طُفُولِيَّةٍ جَمِيلَةٍ تُخَبِّئُهَا فِي ذَاكِرَتِهَا تَمْنَحُهَا بَعْضًا مِنَ الصَّبْرِ وَالسَّلْوَانِ.

لَمْ تَنْتَه «وَصَايَةُ» الْأَخِ بِزَوَاجِ أَخَوَاتِهِ الْمُتَشَنِّجَاتِ، بَلْ تَعْدَى الْأَمْرَ لِيَتَدَخَّلَ فِي تَفَاصِيلِ يَوْمِيَّاتِهِنَّ، فَأَصَافَ عَلَى سُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ سُلْطَانَ التَّحْكُمِ بِأَوْلَادِهِنَّ وَبَنَاتِهِنَّ، فَأَخَذَ يَتَدَخَّلُ فِي كُلِّ شَارِدَةٍ تَرِدُ وَفِي كُلِّ وَارِدَةٍ تَمُرُّ؛ حَتَّى إِذَا مَا شَاءَتْ ظُرُوفُ الْحَرْبِ أَنْ تَجْمَعَ الْجَمِيعَ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ، أَخَذَ يُخْضِعُ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِ لِمَا سَبَقَ أَنْ مَارَسَهُ

على جيل أمهاتهن من التائب و«التربية» والإذلال والاختضاع
 وشتى ألوان الإكراه منزلاً أحكامه «العرفية» على الجميع مُدخلا
 إياهم في جحر منهجه وخُرم معتقده.

وفي يوم من أيام تموز القاسية استيقظت صبيّة لم تتجاوز
 الرابعة عشرة وقد أعياها الأرق والأسئلة في رأسها تزدحم، وهي
 تلعن في سرّها «المُتدينين» أجمعين، وتشتّم «الخال اللئيم»، وتصبّ
 جام غضبها على واقع سيئ بنيسٍ وتحسّد سمك البحر وعصافير
 السماء على حريتها.

فأيّ شريعة تلك التي تحرّمها من إنسانيتها فتجعل حواء في مرتبة
 دون مرتبة آدم؟
 وأي قانون هذا الذي يهين كرامتها فيلقها بقماشة سوداء ويدفنها
 خلف الجدار مدى الحياة؟
 من هو هذا الذي منح «رجال الدين» سلطة التحكم العمياء في
 ممارسات البشر؟
 وأي رب هو هذا الذي يعبدونه ويتصرفون باسمه على الدوام؟

أَلَيْسَ اللَّهُ حَبِيبًا حَنُونًا وَبِعِيَالِهِ رَوْوْفًا رَحِيمًا؟
 أَلَيْسَ مُكُونُ الْأَكْوَانِ الْأَدْمِيَّةِ مِنْهَا وَغَيْرِ الْأَدْمِيَّةِ مَحَبَّةً عَادِلَةً؟
 وَلِمَنْ خَلَقَ الْإِلَهِ نَعِيمَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْبَحْرَ وَالنُّجُومَ وَالْكَوَاكِبَ؟
 أَلَيْسَ وَاهِبَ الْوُجُودِ جَعَلَ الْإِنْسَانَ مَعْلَمَ الْمَلِكِ وَمَحَلَّ التَّكْرِيمِ؟
 تَمَلَّمْتُ فِي فِرَاشِهَا تَنْدُبُ قَلْبًا مِنْ رَحِمِ الْمَحَبَّةِ وَلَدٌ، وَرُوحًا
 مِنْ جَوْهَرِ الْعِرْفَانِ انْبَنَيْتُ، وَبِشْرِيعة «الْأَغْيِيَاءِ» اعْتَلَّتْ.
 وَتَوَجَّهْتُ إِلَى بَارِئِهَا تَدْعُوهُ وَتَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ فِي سِرِّهَا، فَلَنْ
 تُقَدِّمَ «طُقُوسَ عِبَادَةِ الْعَبِيدِ» الْمُعْتَادَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ بَلْ سَتُنَاجِيهِ عَلَى
 طَرِيقَتِهَا، وَلَنْ تَتَبَرَّقَ بِالذَّلِّ وَالْهَوَانِ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَدْخُلُ إِلَّا إِلَى
 الصُّدُورِ الْعَارِيَةِ، وَلَنْ تَخْجَلَ بَعْدَ الْآنَ مِنْ جَسَدِهَا فَتَخْفِيهِ بِسَرَابِيلِ
 الْجَهْلِ وَتَخْفِيهِ بِجَلْبَابِ الْغَبَاءِ الْأَسْوَدِ، وَلَنْ تَسْتَسْلِمَ لِشَرِيعَةِ الْجُورِ
 الْمَتَسَتِّرَةِ بِرِيَاءِ «الْفَضِيلَةِ».

نَفَقْتُ الْآهَ تِلَوُ الْآهَ، وَهِيَ مُصَمِّمَةٌ أَنْ تَحْيَا كَمَا تَنْشَاءُ وَتُثْمِضِي
 يَوْمَهَا كَمَا تُرِيدُ! فَخَلَفَ ظِلْمَةٌ لَيْلُهَا شُعَاعٌ مُشْرِقٌ وَلَطِيفَةٌ نُورٌ فِي
 الْعَيُونِ تُسَكَّبُ.

انسلت من فراشها و لأول مرة خرجت دون إذن من أحد
للتتنشق عبير الهواء العليل، وتلون بشرتها بأشعة الشمس دون
حسيب أو رقيب .

إنها أول يوم ترى فيه الشمس !
إنها بنت النور ! قلبها يخفق ! يطير فرحاً!
فتغني.....وتدندن لحبيبتها :

بالحق أحببتك وبالحب أحققتك
أنا تلك الدرة البيضاء ...
وفاتنة الليل حواء
إليك اليوم ... آتية
أستقبل أزمانني...وأيامي الوردية
فأنا ... عذراء بريئة

أحلفك يا آدم الكون
تعال نخرج الى ذاك الحقل...
ننظر...أزهر اللوز؟؟
أم نور رمان الوادي؟؟

فإِنِّي أَسْمَعُ الآنَ صوتَ... يمامتي
وَالنَّهَارِ يَفْوُحُ عِنْدَ خَدْرِي ... حَمِيمِيَّةَ
فَسَّرِيرِي ... مِنْ أَرْضِ لُبْنَانَ
صَاغَهُ الرَّبُّ مَحَبَّةً عُذْرِيَّةَ
بَنَتِ التُّورِ أَنَا أَفِيضُ حَنَانًا ...
شَمَالَكَ تَحْتَ وَجْنَتِي
وَيَمِينِكَ حَوْلَ الْيَاقُوتَةِ الْحُمْرَاءِ تَرْتَسِمُ...
وَحَسْبِي أَنَا شَفَتَاكَ الْقَرْمِزِيَّةَ

كم أنت جميلٌ..جميل ..حُلُو المذاق...
أَدْخِلْنِي حَبِيبِي حَانَهُ زَيْبٍ
أَرْسَمَ اسْمَ الرَّبِّ بِالزَّعْفَرَانِ ...أَشْرِيهِ
عَسَاهُ يُخَالِطُ دِمَاءَ أُورْدَتِي
فَأَنَا بِنْتُ كَوْنِيَّةٍ

عند صَاحِبِ الكِبْرِيتِ الأحمر

تَتَهَادَى فِي مَشْيَيْتِهَا وَكَأَنَّهَا عَلَى جَنَاحِ النَّسِيمِ حُمِلَتْ، فِي
وَجْهِ الشَّمْسِ تُحْدَقُ، أَطْلَقَتْ يَدَيْهَا وَفَتَحَتْ كَفَيْهَا عَلَى كُلِّ ذَرَّةٍ رِيحٍ
تُتَلَمَسُ خَلَايَا قَلْبِهَا، فَاْمْتَرَجَتْ رُوحَهَا بِنَفْحَةِ عُلُوِّيَّةٍ أَسْكَرَتْهَا مَحَبَّةٌ
وَجَمَالًا وَحَرِّيَّةً.

جَبِيهَا خَالٍ إِلَّا مِنْ قُرُوشٍ مَعْدُودَةٍ. تَمْشِي إِلَى حَيْثُ لَا مَكَانَ.
لَا أَصْدِقَاءَ لَدَيْهَا تَطْرُقُ بَابَهُمْ، وَلَا حَبِيبَ بَشَرِيٍّ عِنْدَهَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ،
وَلَا قَرِيبَ لَهَا تَقْصِدُهُ.

تَتَحَرَّكُ بِفَطْرِيَّةٍ كَطَائِرٍ مُهَاجِرٍ؛ حَالَتِهَا الْوَجْدَانِيَّةُ أُنْسَتْهَا
لَهَيْبِ تَمُوزٍ وَحَرِّهِ الشَّدِيدِ، وَلَسَعَاتِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْمَصْلُوبَةِ فِي كَبِدِ
السَّمَاءِ؛ تُعْبِرُ الْأَحْيَاءَ الْقَدِيمَةَ وَتَمُرُّ بِالْبَاعَةِ وَأَطْيَافِ الْمُتَجَوِّلِينَ، فَلَا
تَرَى وَلَا تَسْمَعُ، وَكَأَنَّهَا رُوحُ طَيْرٍ طَافِيَةٍ تَسْكُنُ غَيْمَةً رَبِيعِيَّةً وَقَفَتْ
عِنْدَ تَخُومِ فَرِيدِ الدِّينِ الْعَطَّارِ حَيْثُ "لَا شَرْقَ وَلَا غَرْبَ"، وَمِنْ
فَلَسَفَةِ الرِّيْحِ تُفَارِقُ سَرِبَهَا فَتَدْنُو مِنْ أَصْفَى مَنَبَعٍ لِلْمَعَانِي.

ترانيم تنبَعثُ مِنْ قَلْبِ السُّوقِ الْقَدِيمِ تُعْلِنُ انتِصَافَ النَّهَارِ،
ومن مُنْذَنَةِ عَتِيقَةٍ يَتَرَنَّمُ صَوْتُ أَزَلِّي يَلَامِسُ قَلْبَهَا فَيَصْعَقُ رَوْحَهَا.

وَدُونِ وَعِي نَحْوِ الْقُطْبِ تُجَذَّبُ، فَتَجِدُ نَفْسَهَا أَمَامَ قَلْبِ شَيْخِ
الْعَارِفِينَ الْأَكْبَرِ النَّابِضِ فِي دَائِرَةِ الْعَرَضِ وَالْجَوْهَرِ¹.

لَمْ تَكُنِ الصَّبِيَّةُ فِي رَبِيعِهَا الرَّابِعِ عَشَرَ تَعْلَمُ عَنْ حَكِيمِ
الْأَنْدَلِسِ شَيْئًا، وَلَا تُدْرِكُ مِنْ فَلَسَفَةِ الْوُجُودِ مَعْرِفَةً، وَلَا تَعْرِفُ عَنْ
الْحِكْمَةِ أَمْرًا، وَلَمْ تَكُنْ تَجِيذُ مِنَ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ شَيْئًا يَذْكَرُ، وَتَجْهَلُ
تَمَامًا أَنَّ الْأَرْوَاحَ تَتَأَلَّفُ وَتَتَلَاقَى، وَأَنَّهَا كَالْمَعَادِنِ مِنْهَا أَقْطَابٌ تُجَذَّبُ
بِنُورِهَا مَنْ بِهِ وَلَهُ !

1 - محيي الدين أبو بكر محمد بن علي، المعروف بالشيخ الأكبر ابن عربي، ولد
في مرسية بالأندلس 1165م وتوفي في دمشق 1240م، ويعد الشارح الأكبر للتصوف
وصاحب نظرية وحدة الوجود في الفلسفة الإسلامية.

وهنا نشير إلى مذهب ابن عربي في فهم الجوهر عبر استدعاء نصي حيث يقول :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة * فمرعى لغزلان، ودير لرهبان
وبيت لأوثان، وكعبة طائف * وألواح تورا، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت * ركائبه، فالحب ديني وإيماني

بَيَدَ أَنْ طُوفَانَ الْوَجْدِ اجْتَاَحَهَا بِتَرْجَمَانِهِ، وَعِنْدَ ذَلِكَ الْمَقَامِ
اِكْتَسَحَهَا بِعَنْقَائِهِ، وَكَجَوْهَرٍ سَدِيمِيٍّ اخْتَرَقَتْهَا رُوحُ صَاحِبِ الْكِبَرِيَّةِ
الْأَحْمَرِ!

وَكأنه نَظَمَ لَهَا قَصِيدَتَهُ مِنْ أَلْفِ عَامٍ لَهَا :

”تَنَاوَحَتِ الْأَرْوَاحُ فِي غَيْضَةِ الْعَضَا
فَمَالَتْ بِأَفْنَانٍ عَلَيَّ فَأَفْنَانِي

وَجَاءَتْ مِنَ الشَّوْقِ الْمَبْرَحِ وَالْجَوَى
وَمِنْ طَرْفِ الْبَلَوَى ، إِلَيَّ بِأَفْنَانٍ

تَطُوفُ بِقَلْبِي سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ
لَوْجَدٍ وَتَبْرِيحٍ وَتَلَثُّمُ أَرْكَانِي“¹

1 - محيي الدين بن عربي: ترجمان الأشواق ، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3،

2003 ، ص 40 - 44

وَكَيْفَ لَا تَتَنَاحُ الأرواحُ وَبِنْتَ النُّورِ ” تُدِينُ بَيْنَ الحُبِّ ” دُونَ
أَنْ تَدْرِي !

تَنْزَاحُ الحُرُوفُ وَتَخْتَفِي النُّقْطُ، يَفْرَغُ ذَهْنُهَا فَتَغِيبُ...
تَفْنَى فِي الجَمَالِ وَتَغْرَقُ فِي صَمْتِ مُطْبِقٍ وَ سَكِينَةِ خَالِدَةٍ حَيْثُ لَا
اتِّجَاهَ وَلَا زَمَنَ وَلَا كَلِمَةَ وَلَا شُعُورَ.....

وَبُنُورٍ سَرْمَدِيٍّ بَاهِرٍ تَغْمُرُهَا مَحَبَّةٌ عَاتِيَةٌ حَيْثُ الجَوْهَرُ اللّازِمُنِي
وَالْبِرَاءَةُ التَّامَّةُ ...
فَتَغِيبُ تَدْنِدُنُ بِكَلِمَاتٍ :

كَمَا الْأَعْصَارُ أَعَشَّقَكَ
أَطِيرُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ وَمِنْ شَمْسِي أَرْحَلُ بَعْدَكَ
فَيَا لَهْفِي عَلَى وَجْهِ بِالتُّورِ فَاجَانِي...
فَأَفْنِي عَنِّي الْقَمَرِ

وَفِي بَحْرِ الشَّهَادَةِ ذَوَّبَنِي مَرَّتَيْنِ
بِالْأَوْلَى كُنْتُ وَجَدًا
وَمَرَّةً عَانَقَ بَيْتِي الْوُتْرُ

أَنحَى الزَّمَانَ عَنْ قَلْبِي وَبَمَنْطِقِ الطَّيْرِ عَبْرَ
سَأَعْزِفُ سِرِّي مُوَاجِدًا ...
فَتَرَفَّقَ بِي كَيِّ الْحَرِّ
زَيْمًا الْيَوْمَ لِعَلِيمِ السَّرِّ كَلِيمِ
يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ حَبِرَتِي
فَقَلْبِي مِنْ فَرْطِ الْعِشْقِ تَفْطَرُ

وَاهِبُ الصُّوفِ فِي عَصْرِ صَاحِبِ الْعُصُورِ

عِنْدَ حَضْرَةِ صَاحِبِ الْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرِ ذَهَلَتْ بِنْتُ النُّورِ عَنْ
أَنَاهَا فَانْقَضَى النَّهَارُ!

بِخُطَى ثَقِيلَةٍ تَعْبُرُ بَابَ الْمَقَامِ وَعَجُوزٌ يَتَأَلَّقُ نُورًا بِالْبَابِ
يَقِفُ، فَأَهْدَتْهُ كُلَّ قُرُوشِهَا وَمَضَتْ غَيْرَ أَبْهَةٍ بِطَرِيقِ الْعَوْدَةِ الطَّوِيلِ.

فِي مُنْتَصَفِ سُوقِ "الْجُمُعَةِ" الْقَدِيمِ يَلُوحُ لَهَا الْعَجُوزُ
الْأَبْيَضُ نَفْسُهُ؛ فَإِذَا هُوَ بَائِعٌ لِلْمَلَابِسِ الْقَدِيمَةِ جَوَّالٌ بِصُرَّةٍ قَمَاشِيَّةٍ؛
تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَعْطَاهَا مَلَابِسَ صُوفِيَّةٍ بِالْأَيْدِي حِكْتٍ؛ تَشْرُدُ فِي
عَيْنَيْهِ وَتَعْتَذِرُ بِصِمْتِ الْبَصْرِ، فَيُشِيرُ لَهَا أَنَّهُ عَطَاءٌ عَارٍ عَنِ الْأَثْمَانِ
وَوَهَبٌ دُونَ مُقَابِلٍ.

تصمت...

تلمسُ سرَّ الإشارةِ، وتحتضنُ أُرْدِيَةَ الصُّوفِ الثلاثةِ بَوْدٍ
وتمضي.

طريقها يتَّجِهُ من حيِّ الشيخِ مُحْيِي الدِّينِ الْوَاقِعِ على أطرافِ
الصَّالِحِيَّةِ إلى منطقةِ ابنِ النَّفِيسِ...

كانت تتنفسُ حُرِّيَّةَ عَمِيقَةٍ، تنسابُ بين البيوتِ في منطقة
”أبو كرش“... الأزقة القديمة تشعرها بدفءٍ عارِمٍ...

وكانَّ المَدِينَةَ تَعْرِفُهَا مِنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ قَدِيمٍ!
بَلْ وَ يَعْرِفُهَا كُلُّ الْيَاسَمِينَ النَّابِتِ عَلَى جُدْرَانِ النُّبُوتِ الْعَتِيقَةِ...
وتعرفها كلُّ الأشجارِ التي تراودها عَصَافِيرُ جَبَلِ قَاسِيُونِ!

نعم، ويعرفها حتَّى هَدِيرُ نَاعُورَةٍ هَدَّاتٍ وَ حَتَّى خَرِيرُ نَهْرٍ عَبْرٍ!
حتَّى أَحْجَارُ الدُّرُوبِ الْقَدِيمَةِ الْمُتْرَاصَةِ السَّودَاءِ الَّتِي تَلْمَعُ تَحْتَ
أَقْدَامِهَا تَنْطِقُ مَعْرِفَةً خَالِدَةً!

فَلَا زَالَ هُنَاكَ عِنْدَ الْأَمْكَنَةِ الضَّيِّقَةِ حَجْرٌ يَأْبَى أَنْ يَتْبَرَّقَعَ بِإِسْفَلَتِ
الْهَمَجِيَّةِ!
تُعَانِقُ الشَّوْقَ.... تَسْتَنْشِقُ عِطَرَ الْوَرْدِ....

تُسَايِرُ بَقَايَا نَهْرٍ يَزِيدُ "الْجَافَ"، الَّذِي سَيُوصِلُهَا مِنَ الصَّالِحِيَّةِ غَيْرِ
رُكْنِ الدِّينِ إِلَى الْمَيْطُورِ حَتَّى بَرْزَةِ.

كَانَتْ الصَّبِيَّةُ لَا تَدْرِي عَنِ الْأَحْيَاءِ الدَّمَشَقِيَّةِ وَأَهْلِهَا شَيْئًا
يُذَكِّرُ، فَعَانَلَتْهَا تُقِيمُ بِشَكْلِ مُوقْتٍ فِي دِمَشْقٍ هَرَبًا مِنَ الْحَرْبِ الدَّامِيَةِ
وَلَهَيْبِ الْمَدَافِعِ الْمَشْتَعِلَةِ الَّتِي أَحْرَقَتْ بَيْرُوتَ بَأَهْلِهَا وَأَشْجَارَهَا
وَجَعَلَتْهَا أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ .

تَعْبُرُ الْبِنْتَ الْحَيَّ تَلُو الْحَيَّ بِخَفَةٍ!
وَكُنَّ الْبُقْعَةُ مَسْقُطُ رَأْسِهَا فَالْدَّهْرُ اجْتَاَحَهَا، فَأَزَاَحَهَا إِلَى حَيْثُ
لَا مَكَانَ يُحَاصِرُ بِالْإِدْرَاكِ، وَلَا زَمَانَ يُحَسِّبُ بِالْأَوْقَاتِ.

وَكأنَّ حُلْمًا نَاجَزَهَا إِبْدَاعُ الْمَجْهُولِ الْغَائِبِ فَارْتَمَتْ فِي عَصْرِ آخِرِ
تَعْرِفُهُ جَيِّدًا !

وَيَنْبَعُ صَوْتٌ مِنْ مِئْذَنَةٍ عَلَى يَمِينِهَا يُعْلِنُ غُرُوبَ النَّهَارِ !
وَحَارَةُ الْحَلَالَاتِ عَلَى يَسَارِهَا تَتَلَأَلُ بِأَنْوَارِ الْمَنَازِلِ الْمُتْرَاصَةِ...
وَمُوسِيقَى الْوُجُودِ تَتَجَاوَزُ بِهَا الْمَكَانَ وَتَنْزَاحُ بِسِرِّيرَتِهَا عَنِ الْبَصَرِ،
فَيَنْفَرِدُ الْإِبْدَاعُ فِي أَعَالِي الزَّمَانِ، وَتَرْنِيمَةٌ تَتَنَاعَمُ مَعَ إِيقَاعِ الْكُونِ
تَنْبَعُ مِنْ مَقَامِ عَبْدِ الْغَنِيِّ النَّابِلِيِّ حَيْثُ الرَّؤْيُ تَعْبُرُ بِهَا عَنْ مَأْلُوفِ
الْأَحْلَامِ !

يَجْتَاكُهَا حَنِينٌ غَرِيبٌ !

تُرَاوِدُهَا أَطْيَافُ الشَّرَاطِيسَةِ وَأَرْوَاحِهِمْ، وَيَحْتَقِي بِهَا أَبْنَاءُ
الْأَتَابِكَةِ، وَتَشْعُرُ أَنَّ زُكْنَ الدِّينِ بْنِ مَنكُورِسَ وَبَنِي أَيُّوبَ مَارُونَ
أَمَامَهَا عِنْدَ حَارَةِ الْجَبَلِ وَقَدْ خَرَجَ أَكْرَادُ مِيطُورَ لاسْتِقْبَالِهَا !

فَتُنْشِدُ لِلشَّامِ وَأَهْلِهَا :

يَا شَامَ أَوْقِنِ أَنِّي أَعْرِفُكَ
تَعْرِفِنِي كُلَّ الْقَبَابِ الْحَمَرِ

فَنَاعُورَةُ الْجَامِعِ تَعْرِفِنِي
وَقَنْطَرَةُ التَّكْيَةِ وَجِدَارِيَّةُ الْحَجَرِ

وَرُوحُ أَحْبَبْتِي مِنْ هُنَا عَبَّرْتُ
أَسْمَعُ وَقَعَ زِعَالِهِمْ
وَصَهِيلَ الْخِيُولِ الْعَادِيَاتِ
وَحَرِيرِ النَّهْرِ

وَيُحَ قَلْبِي!
كَيْفَ عَاشَ تَالِقَ عَصْرِ

نَمَّ فِي فَتْحِ عَصْرِ الْجَهَالَةِ انْشَطَرَ
رَبَّ يَوْمٍ كُنْتُ فِيهِ شَامِيَّةَ
فَهَوِيَّةِ الرُّوحِ تَتَجَاوَزُ كُلَّ حُدُودِ الْبَشَرِ

أَلْتَقِيَ فِي بَرْزَخِ التَّارِيخِ أَحْبَبْتِي
عِنْدَ أَكْبَرِ شَيْخٍ ...
حَكِيمِ الْمَغْرِبِ وَحَكِيمِ الشَّرْقِ
صَاحِبِ الْكِبَرِيَّةِ الْأَحْمَرِ

فِعَاصِمَةُ الْكَوْنِ جَمَعَتْ فِي أَكْنَافِ دِمَشْقِ
جَنَاتِ عَدْنٍ وَسَحَرِ أُنْدَلُسِ
وَطَيُورِ الْعِطَارِ
تُعَانِقُ فِي حَارَاتِ السَّامِ الشَّجَرِ

حَبِيبٌ فِي الطَّرِيقِ

سُكُونُ اللَّيْلِ يُعَسِّسُ وَالشَّمْسُ تُودِّعُ الْأَشْجَارَ بِخُيُوطِ حُمْرَاءَ
صَافِيَةٍ، وَالسَّمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ تَقْتَرِبُ، وَبِسْرٍ هَادِيٍّ نَحْوَ اللَّانْهَائِي
الْأَبَدِيِّ تَبْتَهَجُ!

وَمِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي تَجِدُ "بنت النور" حَبِيبًا قَدْ حَضَرَ!
أَنَامِلُهُ شُبِكَتْ حَوْلَ خَاصِرَتِهَا.... تَتَلَمَسُ يَدَيْهِ الدَّافِنَتَيْنِ وَتَلْتَفِتُ فَلَا
تَرَى شَيْئًا، تَدُورُ حَوْلَ نَفْسِهَا فَلَا تَجِدُ هَيْكَلًا بَشَرِيًّا!

تَتَلَمَسُ خَاصِرَتَهَا مَرَّةً أُخْرَى تُدَاعِبُ أُنَامِلُهُ وَتُغْمِضُ عَيْنَيْهَا، تَسْتَسْلِمُ
لِحَدْسِهَا، وَعَقْلُهَا مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ أُرْعَ!
تَتَهَادَى فِي خُطَوَاتِهَا، تَسْمَعُ وَقَعَ نِعَالٍ غَيْرِ نِعَالِهَا! تَتَوَقَّفُ مَرَّةً
أُخْرَى... فَيَتَوَقَّفُ وَقَعَ النِّعَالِ!

تُخِيمُ السَّكِينَةُ بَرَهَةً، ثُمَّ تَمْضِي...

إِيقَاعُ خُطَوَاتِ الْحَبِيبِ تُرَافِقُهَا، وَفِي أُذُنِهَا تَسْمَعُ حَفِيفَ
أَقْدَامِهِ، وَذِرَاعُهُ تَلْفُ عُنْقَهَا بِخَنَانٍ غَرِيبٍ... تَتَلَمَّسُ ذِرَاعَهُ مُجَدِّدًا
وَتَسْتَسْلِمُ لَهُ دُونَ أَنْ تُبْصِرَ فِي عَالَمِ الْأَبْدَانِ شَيْئًا!

تُسْرِ لِنَفْسِهَا:

فَلْيَكُنْ لِي رَفِيقٌ إِذْنُ! فَلَا ضَيْرَ مِنْ حَبِيبٍ يَتَمَوَّجُ فِي دَاخِلِي حَتَّى وَإِنْ
كَانَ مَجْرَدَ شَبَحٍ !

تُدْنِدِنُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ تُسَلِّمُ عَلَى حَبِيبٍ لَا يُرَى، بَيِّدَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ
عَمَرَتْهَا حَتَّى النِّخَاعَ وَسَرِيانَ دَفْنِهِ اكَتَسَحَ كِيَانُهَا حَتَّى الصَّمِيمِ...

تَتَرَنَّمُ... تَشْكُرُ رَبَّهَا الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِحَبِّ كَانَنَاتِهِ.. لِاشْكُ
فِي أَنَّهُ أَرْسَلَ لَهَا مَنْ يُؤْنِسُ مَسِيرَهَا ...
تُكَرِّرُ السَّلَامَ عَلَيْهِ بِشَوْقٍ دَائِمٍ إِلَى الْأَبَدِ مَوْضُول...
وَكأن صَوْتًا أَزَلِيًّا خَرَجَ مِنْ كَهْفٍ عَمِيقٍ فِي جَبَلٍ قَاسِيُونَ:

المجدُّ للقدوس!.. ويتردد الصدى : قُدُّوس.. قُدُّوس ... قُدُّوس!
وَجْهَهَا يَزْدَادُ احْمِرَارًا، وَحَرَارَةُ جَسَدِهَا تَجَاوَزَتْ حُدُودَ الْحَرَارَةِ
الْمَعْهُودَةِ لِلْأَدَمِيِّ الْحَيِّ، تَتَلَمَسُ خَدَّهَا فَتَشْعُرُ بِظِلِّ وَجْهِ الْحَبِيبِ
يُلامِسُ بَشْرَتَهَا ...

تَهْمَسُ إِلَيْهِ حَانِيَةً :
إِلَيْكَ مُوَاجِدِي أَنْوَحُ بِهَا نِيَاحَةَ عَاشِقٍ، تَكْوِيهِ دَوَاعِي الْاِشْتِيَاقِ، فَمَنْ
«أَلْفَ الْوَجْدِ بَكَى، وَمِنْ شَفَّةِ الشَّوْقِ شَكَى» كَمَا يَقُولُ الْإِنْدَلَسِيُّ

فإليك يا نَبْعَ الْمَحَبَّةِ سَلام!

وَتُسَلِّمُ عَلَى الْحَبِيبِ :

حبيبي ... لَمْ يَبْقَ لِي مِنْكَ إِلَّا الْخَيَالُ
فَهَلْ بَعْدَ الشَّخْصِ إِلَّا الْخَيَالُ؟؟
وَهَلْ بَعْدَ الصُّورَةِ سِوَى مَعْنَى الْجَمَالِ؟؟
أَحْنُ إِلَيْكَ... أَتَوَقَّ لِوَصْلِ لَيْلَى وَ سَعَادُ

حبيبي اشتاقت رُوحِي لروحِكَ وِ الْاِتِّصَالِ
أَحْنُ حَنِينٍ مَغْرَمٍ لِأَنْسٍ وَ وَجَدَ وَوَصَالَ
أَحْتَاجُ إِلَيْكَ وَتَتَوَقَّ رُوحِي أَبَدًا إِلَى التَّرْحَالِ
قَلَّتْ حِيلَتِي نَعَمْ!

نعم ..وَلَسْتُ فِي مَنَازِلِ الْأَبْدَالِ!!
فَهَلْ لِقَائِي بِكَ فِي عَالَمِ الْأَبْدَانِ هَذَا مُحَالٌ...؟؟

نَظَرْتُ إِلَى السَّمْسِ فِي الصَّحَرَاءِ عِنْدَ الزَّوَالِ
سِيرْتُ وَ سَاوَرَنِي حَنِينُ ارْتِحَالِ
فَهَامَتْ رُوحِي جُوبِ الْأُودِيَةِ تُنَادِي الْجِبَالَ
تُرْتَقِبُ لَيْلَ الْأُنْيَسِ بَعْدَ طَوْلِ صَبْرٍ وَ احْتِمَالِ
فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ عِنْدَ الْمَسَاءِ بَعْدَ طَوْلِ ... ارْتِحَالِ
اسْتَبَدَّتْ بِي مَوَاجِدِي وَاشْتَغَلَ فِيَّ الْحَالِ
انْسَحَبَتْ مِنِّي طَاقَتِي وَخَالَطَ جِسْمِي انْسِلَاقُ
نَزَفْتُ الْآهَ.....تَضَرَّعْتُ لِرَبِّي ذِي الْجَلَالِ
أَتَسْمَعُأُنَاتِي تَرَعْدُ تَتَصَدَّعُ لَهَا الْجِبَالَ!!
إِلَيْكَ أَلَامِي تَعْرِفُهَا ...فَحَالِي مِنْكَ وَإِلَيْكَ أَلْ

أِهْ... على آهٍ.... على آهٍ
 أَلْتَنِي جِرَاحِي التَّازِفَةَ مِنْ دَائٍ وَاعْتِلَالُ
 وَمَازَجِ عَقْلِي الْجَنُونَ وَ خَالِطِهِ... الْخَبَالُ
 إِنِّهَا أَعْرَاضُ عِشْقٍ..... إِنَّهُ مَرَضٌ عَضَالُ
 فَهَلْ سَيَأْذُنُ لِي مَعْشُوقِي بَعْدَ حَالٍ بِحَالٍ؟؟؟

عِنْدَمَا صَمْتُ قَلْبِي تَوَارَدَتْ وَحْدَةُ الْاِعْتِرَالُ
 وَ سَهَرَتْ عَيْنِي فَسَامَرْتُ أَحْبَبْتِي بِدَلَالُ
 فَلَكَ الْحُبُّ مِنِّي حَبِيبِي وَالسَّلَامُ ... فِي كُلِّ حَالُ
 لَجْدُ عِشْقِكَ أَزْفُ الْوَدِّ خَالِصًا مُوصُوفًا بِالْكَمَالُ
 فَكُمُ تَشْوَقُكَ لَذَاكَ الْحُبِّ تَحْرَقُكَ لَذَاكَ الْجَمَالُ!/!
 فَاحْضَنِّي حَبِيبِي وَهْنِي بَعْضًا مِنْ ذَاكَ الدَّلَالُ

عِنْدَ غَيْبِ الْمَغِيبِ

وَتَمْضِي بِنْتَ النُّورِ عَلَى جَنَاحِ حَبِيبٍ لَا تَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا،
تَتَهَادَى عَلَى غَمَامِ شَوْقٍ مَخْمَلِيٍّ أَبْيَضٍ، تَبْعَثِرُ مُوَاجِدَهَا حَتَّى فَقَدَ
الْإِرَادَةَ، وَرَأْسَهَا مِنْ كُلِّ مَعْنَى أَفْرَغَ، تَرَاوِدُهَا الْأَفْكَارُ وَتَضْمَحُلُ
ذَاتَهَا، فَتَتَنَابَهَا مَشَاعِرُ مُتَضَارِبَةٍ، وَكَأْسُ نَشْوَتِهَا الشَّفَافِ امْتَزَجَ
بِعَكْرَةِ خَوْفٍ غَرِيبٍ.

السَّمَاءُ أَقْفَلَتْ عَلَى حَمْرَةِ شَمْسٍ تَأْفُلُ دُونَ اسْتِذَانٍ، وَزُرْقَةُ
الثَّرْيَاءِ تَمْتَزِجُ بِأَرْجَوَانِيَةِ الْمَغِيبِ ...
تَسْتَمِيلُ يَوْمَهَا أَلَا يَنْقُضِي، وَتَسْتَجِدِي نَهَارَهَا أَلَا يَنْفُضُ عَنْهَا،
وَتَسْتَحْلِفُ حَبِيبًا أَلَا يَغِيبُ !

تتردحم الاحتمالات في عقلها، وتتسارع الأفكار في رأسها، وتتلاطم
في جمجمتها كل التوقعات السلبية
يتلاشى فرحها ويستبدُّ بها قلق عجيب، وتستفيق على واقعٍ تعيشه
أقلُّ ما يقال فيه أنه عنيف رهيب!

تطير مواجهها ويغيب عنها الحبيب!
تتألفُ حولها بجنون طفلٍ فقدَ أمه لتو... تبحثُ عنه بروحها
وجوارحها أجمعين... تدور حول نفسها!
تستنفر قلبها وتقاوم خوفها باستجلاب الهدوء والسكينة ...

كيف لا، ومقامُ المحبة الصافي لا يتألف مع جيفِ القلق، و عكرة
الخوف لا تتواءم مع صفاء الوداد...

الليل يقترب "وعقلها" يئن ويئنُ بإصرارٍ عَنِيدٍ:
 ألا هلمي إلى "البيت" عودي! ف"العائلة" لا شك تنتظر!
 ولهيب الغضب على أحرّ من الجمر!

تتعالى ضربات قلبها المخلوع فتُسرع الخطى حثيثاً، و
 الدّرب تحت أقدامها تمدّه الدّروب، فلا الطريق تنطوي ولا المسافة
 بسُرعة سيرها تَنقُضي.
 تتحوّل هرولتها الى رَكْضٍ سريع، وكفرسٍ بريٍّ أصليٍّ أصيلٍ
 تنطلق، فيتطاير شَعْرُهَا العَجْرِيّ الأَجْعَد الطويل، والدّماء حوّلت
 وجهها الى حمرةٍ ورديةٍ أنيقة.
 تَعْدُو تسابق الرّيح! وتدفع هواءَ تموز السّاخن بشموخ
 صدرها، فيلتصق ثوبها الصّيفيّ بجسمها النحيل، ويتكسّر الحرير
 على جسدها فتتكشفُ تقاسيم جمال أنثويٍّ ربانيٍّ أخاذٍ...

تَلْفُ نَفْسَهَا بِذِرَاعِيهَا وَتَتَحَوَّلُ إِلَى حُورِيَّةٍ سَابِغَةٍ فِي الْفَضَاءِ !

طَاقَةُ السَّلْبِ الْمُنْبَعِثَةِ مِنْ نَفُوسٍ ”أَقَارِبَهَا“ تَصِلُهَا، وَكَأَنَّ
صَخْبَ وَعِيدِهِمْ وَهَمِّهِمَ الشَّرِّ وَحَسِيسَ نَارِ قُلُوبِهِمْ تَلَامَسُ سَمْعَهَا..
فَتَمْتَصُّ غُنْفَ الْأَنْفَسِ، وَتَتَبَعُ مِنْ دَاخِلِهَا أَنْوَارَ عُلُويَّةٍ تَمْنَحُهَا سِرًّا
عَجَائِبًا وَإِصْرَارًا فَرِيدًا عَلَى مُقَاوَمَةِ الْإِرْهَابِ وَالْخُنُوعِ ...

إِحْسَاسٌ بِالْخَوْفِ يَلْسَعُهَا فَتَرْتَقِي بِشَوْقِهَا عَلَى أَجْنَحَةِ بُرَاقٍ
عَنِيدٍ ...

تَتَجَاوَزُ قَلْقَهَا بِطَيْبِ السَّمَاحِ، فَتَنْفَرِدُ أَجْنَحَةَ الْمَحَبَّةِ وَتَسْلُمُ
قَلْبَهَا لِمُكُونِهَا بِالْكَامِلِ .

وَتَرْمَقُ بَقَايَا خِيوطِ شَمْسٍ وَتَبُوحُ لِإِبَارِئِهَا تَمْتَمُ بِكَلِمَاتٍ !
عند نقطة البُوح:

وَلِي بُوْح ...عِنْدَ الْمَغَارِبِ
أَحْمَلُ شَغَافَ قَلْبِي لَطْفًا
وَلِكُلِّ الْعَالَمِينَ أَهْدِيهِ
لَمَنْ عَرَفْتَهُمْ ...
وَمَنْ لَمْ أَعْرِفَهُمْ ...
مِنْ عَوَالِمِ الْإِنْسِ وَالْمَلِكِ وَغَيْرِهِ
مِنْ بَرَزَخٍ وَنُوحٍ
وَدُنْيَا كَوَكَبِ الْحَسَنِ

أَرْفَعُ صَلَوَاتِي ...
وَلَيْتُكَونَ التَّكْوِينِ أَرْجَى
أَنْ تَعُودَ الْأَكْوَانُ الْأَدَمِيَّةُ
سَالِمَةً أَرْوَاحَهَا
كَمَا فِي حَضْرَةِ التَّكْوِينِ قَدْ كَانَتْ ...
هِيَ الْأَمَالُ ... أَعْقَدَهَا
مَعَ إِدْبَارِ كُلِّ مَغِيبٍ
وَلَا يُقْبَالُ كُلُّ سِحْرِ صَلَاةٍ
مَحَبَّةَ اللَّهِ
لَا أَسْأَلُهُ فِيهَا حِظًّا وَإِنْ حَظِّيتُ بِهَا
غَيْرَ أَنِّي لَا أَبْتَغِي سِوَى الْكَوْدَةِ عَيْنَهَا

وَسَلَامًا سَاكِنًا يُحَيِّمُ
عَلَى عَالَمِ الْأَكْوَانِ قَاطِبَةً
أَفْنَى بِهَا وَجْدًا... وَأُنْعَتِقُ
كَيَ أُولَدَ مَعَ وَلَدَتِهَا
فَجَرَا وَعِطَاءً لَا أَبْغِي عَنْهُ حَوْلًا

تِلْكَ الْفِرْدَوْسُ الَّتِي أَعَدَّهَا حَبِيبِي
كَأَنْتِ... وَلَمْ تَزَلْ لِلْعَاشِقِينَ نَزْلًا
وَهُوَ الَّذِي أَسَارَ بَآيَهُ:
أَنْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ وَدَّهِ
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُهُ
وَلَوْ جِئْنَا مِثْلَهُ مَدَدًا

أَجِدُّ مَوَائِقَ قَلْبِي الَّتِي قَطَعْتُهَا عَهْدًا
أَتَّى لِإِفَاضَةِ رُوحِكَ
رُوحِي تُعَكِّفُ عِبَادَةَ

فِي غَيْبِ الْغَيْبِ تَضَمُّحِلُّ تَارَةً
لِتُبْعَثَ كَمَا تَشَاءُ مُجَدِّدًا

بنت النور في قفص الاتهام

دَخَلْتُ بِنْتُ النُّورِ كَهْفَ الظُّلْمَةِ بِنُورِهَا الْمُتَوَهِّجِ، فـ«البيت»
اسْتَنْفَرَهُ الْغَضَبُ الْعَارِمُ وَأَحَالَهُ حَقْلَ هَشِيمٍ غَرَبَةً وَأَسَى يَجْتَاخُهُ شَرُّ
الْكَرَاهِيَةِ وَالْحَقْدِ...

فَيَزِمُ جُرْ صَوْتٌ هَادِرٌ: «أَلَا لَعَنَ اللَّهُ الْمُخْتَفِيَّ وَالْمُخْتَفِيَةَ...
أَيْنَ كُنْتَ أَيَّتُهَا الْعَاهِرَةُ السَّاقِطَةُ؟! أَلَا تَعْلَمِينَ أَنَّ خُرُوجَ الْمَرَأَةِ بِلَا
«محرم» ودون استئذانٍ جريمة كبرى؟

وَبِالسَّنَةِ سَلِيْطَةٍ حَادَّةٍ تُقَدِّمُ «بنت النور» لِلْمُحَاكَمَةِ وَعَنْ
سِرِّ اخْتِفَائِهَا طِيلَةَ الْيَوْمِ تُسَاءَلُ!

وَبِهْدْوَةٍ يُلَامِسُ السَّكِينَةَ أَشَاحَتْ وَجْهَهَا عَنْ «الفرعون»،
وَنَحَوَ النَّظَائِرَاتِ الْمُزْدَحِمَاتِ التَّفَقَّتْ، وَبِصَوْتٍ كَأَيْقَاعِ جَرَسٍ هَيْكَلُ
مُبَارِكٍ نَادَتْهُنَّ قَائِلَةً:

إِنَّ «الطَّاغِيَةَ» الَّذِي تُبْجِلُهُ مَا أَقَامَهُ «سَيِّدًا» عَلَيَكُنَّ إِلَّا
اسْتِسْلَامَكُنَّ وَخُضُوعَكُنَّ، وَأَنَّ جُبْنَ إِيْمَانِكُنَّ جَعَلَهُ «إِمَامًا» فِي
صَلَاتِكُنَّ وَ «قَدِيْسًا» فِي مَعْبَدِكُنَّ...

يُحَاوِلُ ذَاكَ «الرَّاعِي» إِدَانَتِي لِأَنِّي أُسِيرُ حَاسِرَةَ الرَّأْسِ
مَكْشُوفَةَ الْفُؤَادِ، وَيَعْمَلُ عَلَى إِذْلَالِ عَنفَوَانِي، وَتَعْذِيبِ جَسَدِي، وَ
وَصَفِ عَاقِلَتِي بِأَبْشَعِ الْأَوْصَافِ وَأَقْدَرِ الْعِبَارَاتِ...

أَمَّا وَأَنْكَنْ وَقَفْتَنَ تُشَاهِدَنَ صَدَى أَلْمِي مُهَانَةً كَفَرِيَسَةً تَوَجَّعَتْ
بَيْنَ مَخَالِبِ سَبْعِ ضُرُوسٍ، فَنَعَمْ ؛ وَأَلْفَ أَلْفِ نَعَمْ لَتَمَرَّدِي..

نَعَمْ، أَنَا تِلْكَ الشَّرِيرَةُ الَّتِي أَبْتَأَنَّ تَقِيمَ هَذَا الْجَاهِلَ وَصِيًّا عَلَى
حَيَاتِهَا فَخَرَجْتَ عَنْ رَسَنِ سُلْطَتِهِ لِأَنَّ الْحَرِيَّةَ لَا تَحْتَاجُ لِأَوْصِيَاءَ..

نَعَمْ، أَنَا تِلْكَ الْمَرْأَةُ الْمَلْعُونَةُ الَّتِي لَا تَقْدَرُ مُجْرِمًا لُمَعْتَ
سُمْعَتَهُ بِذَبْحِ الْأَبْرِيَاءِ وَرَجْمِ الْفَاضِلَاتِ، لِأَنَّ الْفَضِيلَةَ لَا تَقَاسُ إِلَّا
بِنَزَاهَةِ الْأَرْوَاحِ...

نعم أنا تلك الصبية التي سَمَّيْتُموها «عاهرة» لأنها خَرَجْتَ
عَنْ نَامُوسِ الْجَبْنَاءِ!

نعم انا التي حملت «سَفَاحًا» بأفكارٍ تَمَرَّدَتْ عَلَى زَيْفِ
عَيْشِكُنَّ الْبَائِسِ الْأَلِيمِ، فَطَاهَرَةُ الْأَنْفَسِ لَا تَعْتَرِفُ بِتَدْنِيْسِ الْأَبْدَانِ.
فَأَيْقُظَنَّ قُلُوبَكُمْ أَيْتِهَا «السَّيِّدَاتُ»!

جَرِيمَتِي أَيْتِهَا النِّسَاءُ أَنِّي أُدْرِكْتُ سَبَبَ بُؤْسِكُنَّ وَتَعَاسَتِكُنَّ،
وَأَحْسَسْتُ بِثَقَلِ قِيُودِكُنَّ، وَذُنُوبِي هِيَ شَفَقَتِي عَلَيْكُنَّ وَأَنْتُنَّ قَابِعَاتُ
فِي دَهَالِيزِ الْغَبَاءِ، مُتَسَتِّرَاتٌ خَلْفَ أَكْوَامِ السَّوَادِ، مُحْتَجِبَاتٌ عَنْ نُورِ
السَّمَاءِ...

وَأَنِّي كَوَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ، عِلْمَ الْيَقِينِ أَعْلَمُ أَنَّ حَوَاءَ كَانَتْ عَارِيَةً
فِي الْبَرَارِي تَحْتَطِبُ، وَ أَمَامَ وَجْهِ الشَّمْسِ وَقَفَتْ دُونَ حِجَابٍ .

نعم، أنا تلك المغضوبُ عليها التي عن شريعة «تُجَارِ الدِّينَ»
خَرَجْتَ، لَا تَوْمَنُ بِتَعَالِيمِ الْجَهَالَةِ الَّتِي تُقَيِّدُ إِنْسَانِيَةَ الْإِنْسَانِ وَتَحُولُهُ
إِلَى كَمِيَّةٍ لَحْمٍ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ الْخُدُورِ، وَيَخْدِمُ سَيِّدَهُ الْجَبَّارَ الْعَسُوفَ، وَلَمْ
تَعْمَنِ مَأْسَاتِكُنَّ الَّتِي حَوْلَتْكَ إِلَى مَتَاعِ لَشَهْوَةِ الذُّكُورِ.

أَقِفْ الْيَوْمَ أَصْرَخْ بِوَجْهِ ذَنْبٍ يَنْهَشُ بِأَنْيَابِهِ حَيَاتَكَ، عَلَّ
صَوْتِي يُوقِظُ رُوحَ قَاطِعِ خَدْرَتِهِ الْأَيَّامِ.
أَنْتَنَ بَعْدَ اللَّيَالِي تَسَاءَلْتَنَ وَفِي سَرِيرَتِكَ أَسْرَرْتَنَ: مَتَى
يَنْحَسِرُ الظُّلَمُ، وَمَتَى مِنْ جَلْبَابِ الْأَسْرِ نَنْعَتِقُ؟
وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكِنَّ:

إِنَّ الْعُصْفُورَ الَّذِي ذُبِحَ فِي مِخْدَعِ الزَّوْجِيَّةِ يَتَمَلُّ رَاقِصًا
دُونَ إِرَادَةٍ وَلَا يَعْرِفُ؛ بَيِّدَ أَنَّ النَّاطِرَةَ مِنْكَ تَعْلَمُ أَنَّ أَرْوَاحَكُمْ تَتَوَجَّعُ
أَنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَأَنْتَنَ فِي كُهُوفِ الظُّلْمَةِ قَابِعَاتٍ، لَا تَجِدْنَ
سِوَى الْمَأْكَلِ وَالْخِدْمَةِ، وَفِي اللَّيْلِ تُسْتَبَاحُ أَبْدَانُكُمْ لِعَنْفِ الذُّكُورِ!

أَلَا تَهَبَّنَ وَأَنْتَنَ تَسْمَعْنَ نَعَمَ الْحُرِّيَّةِ يَشْدُو فِي آذَانِكُنَّ؟
كَمْ مِنَ الْوَقْتِ جَلَسْتَنَ عَلَى الْأَسْرِ مُتَحَسِّرَاتٍ عَلَى مَاضٍ
أَلِيمٍ وَحَاضِرٍ لَمْ تَخْتَرْنَهُ وَمُسْتَقْبَلٍ غَامِضٍ تَخْفَنَ مِنْهُ؟
مَا الَّذِي تَحْصِلْنَ عَلَيْهِ لِقَاءَ خِدْمَتِكُنَّ غَيْرَ رِقِّ الْعِبَادِيَّةِ
وَاسْتِبَاحَةِ أَجْسَادِكُنَّ لِتَلْذُذِ ذِكْرِ هَاجٍ مَاجٍ؟

هذه حياتكن أيتها النساء الخانعات، وان كنتن في بروجٍ
مشيدةٍ وقُصورٍ منعمةٍ، هذا هو الظلام المُخَيِّم على معيشتكن أيتها
التعيسات الحزينات، هذا هو الألم الدفين القابع في أعماق قلوبكن،
هذه أطيايف الذلِّ والشقاء التي بها تتنعمن.
نعم، أقف باسم عدالةٍ من فرط المَظالم توجعت، أقول لكن:

نفوسكن في قبضة «مدّعي الحقيقة» و«مزيفي الشريعة»
وأجسادكن في قبضة «رذيل» لا يرى فيكن إلا آلة للانجاب
ومستوعبا لنفائات الشهوات، وقلوبكن تعتصر اليأس وتشرذ
الأحزان ...

ان «الإمام» الذي تحترمونه وتهابونه وتقيمونه «وصياً»
على حياتكم وأسرار انفسكم، ليس إلا خائناً يدعي «امتلاك مفاتيح
الجنان» ويجعل من الكتاب المنزّل أداة لتحقيركن، ومن تأويلاته
المُنحرفة سبيلاً لإذلالكن.

أَيْتَهَا النِّسَاءُ أَلَا تَرَيْنَ أَنَّهُ لَصٌّ مُحْتَالٌ مُتَحَجِّرُ الْفُؤَادِ يَنْتَزِعُ مِنْكَ
تَعَبُكَ وَيَسْتَمْتَعُ بِمِيرَاثِكَ ثُمَّ يَتَصَدَّقُ بِفُتَاتِهِ عَلَيْكَ؟
فَيَنْمُو بِجُهِودِكَ وَيَمْتَلِئُ كَرْشُهُ بِنُقُودِكَ، وَأَنْتِ تَخْدُمُهُ وَتَتَّبِعُهُ
وَتَقْدَمِينَ لَهُ كُلَّ فَرُوضِ الطَّاعَةِ وَالْوَلَاءِ لِيَمْنَحَكَ «المَسَامَحَةَ» وَ
«بِرَاءةَ ذِمَّةٍ» كَاذِبَةُ أَمَامِ الرَّبِّ وَأَمَامِ مَجْتَمَعِ احْتِرَافِ الْخِدَاعِ.
وَهَلْ يَقْبَلُ اللَّهُ أَنْ تَكُنَّ مَرْدُولَاتِ مَظْلُومَاتٍ مُحْتَقَرَاتٍ لَغْيٍ
يَسْتَعْبِدُ أَيَّامَكَ وَيَسْتَبِيحُ حَرَمَةَ أَجْسَادِكَ؟

وَهَلِ النَّامُوسُ الرِّبَانِيُّ يَرْضَى لَكُنْ ظِلْمَةَ الْمَوْتِ فِي شَمْسِ
الْحَيَاةِ؟ فَكَيْفَ تَرْفَعَنَّ دَعَاكَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ تُذَلُّ رِقَابُكَ أَمَامَ بَشَرِيٍّ
تَمْنَحُهُ السِّيَادَةَ عَلَيْكَ؟؟؟

نَظَرْتُ إِلَى مَنْ حَوْلَهَا كَأَشْبَاحٍ لِأَنْفُسِ خَانِعَةٍ، وَقَدْ خَضَعَ
الْوَاقِفُونَ وَالْوَاقِفَاتُ لِسُكُوتٍ عَظِيمٍ...

لَمَلَمْتُ نَفْسَهَا وَاحْتَضَنْتُ رَوْحَهَا، وَأَدْبَرْتُ فِي ذُحُولِ دُونٍ
أَنْ تَلْتَقَتْ؛ وَانْطَلَقْتُ مِنْ جَدِيدٍ إِلَى حَيْثُ لَا تَعْلَمُ!

وتكتب في الطريق قصّةً تروي بها حكاية الإبداع!
حكاية بنت النور:

حملت جنينها بحنانٍ ومشت
تعتّرتُ تلتفت وراءها
خلفها شيءٌ ربّما بل أشياء
شبح أو خيال

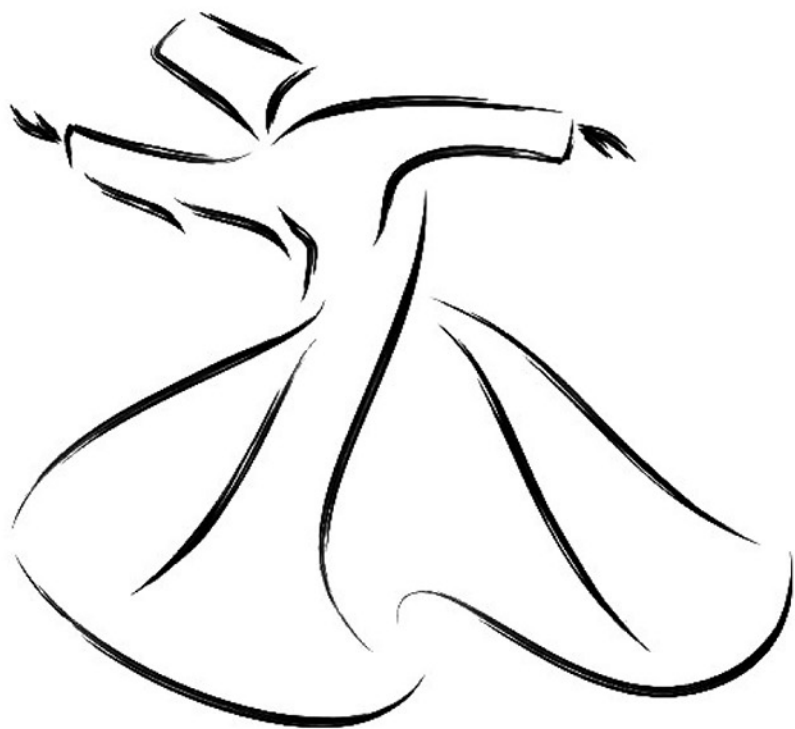
أمطرت عينها ... دمعاً
فأمطرتها السماء ... ماءً
تتلفّك بحذرٍ تتعتّرتُ بحجرٍ
شعرها الأجدد يتطاير على وجهها
احتضنت نفسها بيديها

بالأمس كانت شريدة ... فَحَمَلْتُ
واليوم طريدة بسبب حَمَلِهَا
نظرت نظرت الى البعيد
أُطَلَّت الى المستقبل بعَيْنِهَا
لا ترى شيئا ... دارت حول نفسها
لا ترى سوى كائناتٍ
بليدة.... صغيرة حقيرة
الدماء تحترق بأوردتها
وحولها عيونٌ حَدَّقُ
وأشباح تقتربُ
تتحدى شرر العيون ... بطيب قلبها
تدفع عن نفسها الأشباح ... بَرَقَّةِ ابتسامتها

إنه المساء! والظلام كثيف ..
والعيون شاخصة ترصد الشاردة والواردة
ألسنة سليطة حادة
قلبها يرجف... بردًا
و روحها تتحدى..... خوفًا
الجنين يرتعد بداخلها بشدة
يطالبها أن تقاوم! وتقاوم!
قلبها يخفق
نظرت الى نفسها...
أشلاء وسط الضباب ...
لممت أجزاءها ..
احتضنت مفردات نفسها
من أين تبدأ؟؟
تَهْدَتبعمق مأساتها

تَوَجَّهْتُ نَحْوَ..... الْفَضَاءِ
وَجَمَّةٍ عَالِقَةٍ وَسَطِ السَّمَاءِ
خَفَقَ جَنِينُهَا مَشْجَعًا
فَانْطَلَقْتُ نَحْوَ الدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ

هَنَّاكَ عِنْدَ الشَّمْسِ... وَضَعْتُ جَنِينُهَا
فِي وَسَطِ الْغَيُومِ ... غَفَتَ
وَوَلِيدُهَا يَرْضَعُ صَفَاءَ قَلْبِهَا
يُشَبِّهُهَا... قَلْبُهُ يَشْعُ نُورًا
وَابْتِسَامَتُهُ... تَشْرُقُ صَفْوًا
نَظَرْتُ مِنْ فَوْقَ إِلَى الْآفَقِ هَنَّاكَ ...
فَلَا مَكَانَ لَهَا إِلَّا فِي كَبِدِ السَّمَاءِ
وَتَيَقَّنْتُ أَنَّهَا مَلَائِكَةٌ فِي قَصْرِ الْأَحْلَامِ
فَرُوحُهَا لَا تَتَسَعُ لِلْعَيْشِ وَسَطِ الظَّلَامِ
وَوَلِيدُهَا لَا مَكَانَ لَهُ فِي دُنْيَا اللَّئَامِ
فَأَبْدَاعُهَا لَا أَبَدًا تَعْرِفُ لُغَةَ الْأَقْرَامِ!



بِنْتُ النُّورِ فِي مَنَازِلِ الْاِخْتِبَارِ

الرَّاهِبَةُ

تَمَرُّ الْأَعْوَامِ وَتَعُودُ كُورٌ عَلَى كُورٍ فَتَنْعُدُ الْمَوَاقِيتُ وَتَتَمَحِي
رُسُومَ الْأَيَّامِ، وَتَزْدَادُ كَأَبَةِ اللَّيَالِي رَتَابَةً.
تَتَأَمَّلُ بَنَاتُ النُّورِ تَصَارِيفَ الْقَدَرِ وَتَسْتَجِدِّي الْحِكْمَةَ كَيْ
تَصْلَحَ ضَجَرُ الْوَاقِعِ، وَتَسْتَأْهِمَ الْغَيْبَ عَلَيْهَا تَرْفَعُ غُرْبَةً تَجْتَاحُهَا.

عَشْرَةُ أَعْوَامٍ انْقَضَتْ بِلَمَحَةٍ وَقَدْ أَوْشَكَتْ ثَلَاثَةُ عَقُودٍ مِنْ
عَمْرِهَا أَنْ تَنْقُضِي فِي غَفْلَةِ الْحَيْرَةِ وَمَوَاكِبِ الْعَمَلِ، رُوحَهَا تُسَائِلُهَا
مَقَامَاتٍ سَامِيَةٍ لَا تَبْلُغُهَا نَوَامِيسُ الْبَشَرِ، وَرَنَّةُ الْوُجُودِ تُلَامِسُ قَلْبًا
عَانَقَتْهُ الْأَغَانِي السَّمَاوِيَّةُ، فِيمَا تَتَكَسَّرُ أَشْوَاقُ الْوُجُدِ عَلَى صَخْرَةِ
حَيَاةٍ لَمْ تَخْتَرْهَا، وَتَمَزَقُهَا عَاصِفَةُ الْإِخْتِبَارَاتِ فَتَرَى عَمْرَهَا مَشُوهًا
بِالْآلَامِ، مُثْقَلًا بِالْأَحْزَانِ.

شَهر أَيَّار يذكرها بربيع بلاد الشَّام، وَ رائحة أَرزِ لبْنان،
 وَبَسَاتين ذاك الوادي في «ملتقى النَّهرين»، فَتَسْتَشعر مَذاق اللوز
 الأخضر الحامض الممزوج بالملح في فمها، وعطر الياسمين
 النَّابت على الجدارن الرُّطبة
 وللربيع أطيافٌ صَبِيَّةٌ حَسَناءُ تَوْضَّأت بِشلالٍ واعتَكَفت عند مغارة
 تجفف شَعرها.

مَشاهدُ لا تُنسى... تمرُّ كخيالاتٍ عابرة !

تَتَأملُ بنت النور يَدَها، وتُلامِسُ سَماكتها!
 تَقْرأ في تجاعيد الجراحِ مَرَّ تَعبها اليوميِّ المُتكرر أَنَا بعد أَن !
 تَرى في أَظافرِها المتقَصِّفة خُشونةَ أعبائها المنزلية القاسية !
 لَقَدْ تَلَفَ جَسدها في تَكَرارِ المهمات الرتيبة ...
 وتأكلت بشرتها بِفعلِ الخدمات المتواترة

تَتَنهَّد بِعمقٍ علَّها بالحسرة تُعيد يداً تُضارِع الياسمين بياضاً
 وكفّاً تلامس الحريرَ نَعومةً .

تَسْكُتُ... وتُطِيلُ النَّظَرَ فِي كَفِّهَا، وكأنَّها تَقْرَأُ رِوَايَةَ حَيَاةٍ
تَتَعَانَقُ فِيهَا الْأَفْرَاحُ الضَّئِيلَةَ بِالْأَتْرَاحِ الْعَمَلَاةِ تَعَانِقُ الْأَنْوَارُ
بِالنَّيِّرَانِ.

يَخْفِقُ قَلْبُهَا لِغَامِضَاتٍ لَمْ تَتِمَّكُنْ مِنْ حَلِّ رَمُوزِهَا يَوْمًا.
فَلَا زَالَتْ جَمِيلَةَ الْقَوَامِ وَالرُّوحِ كَمَا كَانَتْ عَلَى الدَّوَامِ، تُدَثِّرُ
نَفْسَهَا بَوْشَاحٍ تُحِبُّهُ، وَوَجْهَهَا كَحِلْمٍ تَلْفَهُ هَالَةٌ طَهَرَ قُدْسِيَّيْهِ، وَتَتَرَقَّرُقُ
فِي عَيْنَيْهَا كَأَبَةٍ جَارِحَةٍ عَمِيقَةٍ فَيَنْسِلُ الدَّمْعُ كَزَيْتٍ أَبْقَوْنَةَ مَبَارَكَةٍ ،
يَكَادُ يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ.

تَشْعُرُ بِأَنَّهَا فَقَدَتْ شَيْئًا مِنْ تَوَازَنِ قَلْبِهَا !
فَلَا هِيَ تُجَارِي رُوحَانِيَّتَهَا الْبَاذِخَةَ وَعِشْقَهَا الْإِلَهِيَّ الْمُبَارَكِ، وَلَا هِيَ
فِي عَالَمِ الْإِنْسِ مُسْتَأْنَسَةٌ نَاجِحَةٌ.

فَفِي «أُسْرَتِهَا» غَرِيبَةٌ ، وَمِنْ «شَرِيكِهَا» مُسْتَوْحِشَةٌ!

تُخْرِجُ وَرَقَةً صَفْرَاءَ مِنْ مَكْتَبِهَا الصَّغِيرِ وَتَطْلُقُ لِمُوَاجِدِهَا
الْعَنَانَ تَرْوِي حِكَايَةَ رَاهِبَةٍ عَاشِقَةٍ:

رَاهِبَةٌ هِيَ ... مَوَاجِدِي
لَوْلَا قَطْرَةٌ مِنْ زَيْتِ دُمُوعِي
انْسَلَّتْ

لَحَسِبْتُني أَيْقُونُهُ عَذْرَاءٍ بِالسَّمْعِ ...
صَلَبَتْ

وَيَعِيدُ الْقَطْرُ الْمَقْدَّسَ الْحَيَاةَ ... لَوَجْهِ
مِنْ فَرْطِ الْأَضْطِلَامِ
تَشَقَّقُ! /

أَنْزِلُ الْأَمَاجِينَ
وَالْأَزْمَانَ تَحْتَفِي
بِحُضُورِ مَنْ ... أَهْوَى ؟؟

أَجَلْ !
وَمَعَايِدُ الْعَبِيدِ ... تُهْدَمُ !

أَسْئَلَةُ مَبْهَمَةٍ :

أَبْتُولُ ... أَنَا؟؟

بَتُولُ ... أَنَا

بِرَغْمِ كُلِّ الْأَسَاطِيرِ

وَالْحِكَايَاتِ ... وَالْأَسْفَارِ

وَالْآيَاتِ

وَمَا هُوَ فِي أَعْرَافِ الْعَبِيدِ ... مَقْدَسِ

أَعْذَرَاءَ ... أَنَا؟؟؟

عْذَرَاءَ ... أَنَا

بِرَغْمِ الْجُنُونِ وَالْخَطِيئَةِ

وَجَسَدٍ فِي عُرْفِ الْجَاهِلِينَ

تَدَنِّسُ

زَاهِبَةٌ... أَنَا

فِي خَابِيَةِ الدَّيرِ ... أَنْزَوِي

بِحُضْنِ مَنْ... أَهْوَى

أَسْتَرْقُ ... قُبْلَةَ

كَجَدُولٍ فِي فَمِي.... تَدَقُّقِ

زَاهِبَةٌ... أَنَا

بِغَيْرِ الْعَيُونِ أَرَى حَبِيبًا

وَاصْطِلَابَ وَجْهِهِ تَرَانِيمَ

فَخُطُوطَ يَدِي إِجْمِلَ جَسَدُ

زَاهِبَةٌ... أَنَا

كَيَانِي فِي مَلَكُوتِ الْعَشْقِ .. تَصْدَعِ

وَحِسِّي سَرْمَدَ سَكَنَ

وَبِرْعَشَةِ الْحَبِيبِ ... تَوَحَّدِ

أَسْأَلُكَ حَبِيبِي الْيَوْمَ

عَنْ سِرِّ... رَاهِبَةٍ

لَهَا فِي الْعَشْقِ فُنُونٌ

وَفِي حُبِّ الْأَلَوِ سِرٌّ... تَقْدَسُ

الرَّهْيَنَةُ

تَتَأَمَّلُ بِنْتُ النُّورِ وَتَبْحَثُ فِي أُخْيَلَةِ الْفِكْرِ وَالتَّدْبِيرِ عَنْ مَخْرَجٍ
يُعِيدُ الرَّبِيعَ إِلَى صَحْرَاءٍ وَاقِعَهَا الْقَاحِلَةُ، فَنَفْسُهَا لَنْ تَجِدَ الرَّاحَةَ إِلَّا
بِالِاسْتِنْسَاسِ إِلَى نَفْسٍ تُشَاطِرُهَا الْغُرْبَةَ .

وَتَتَسَاءَلُ عَنْ سِرِّ عِلَاقَةٍ بُتِرَتْ، وَقَلْبٍ فَقَدَ مُحَاوِرَهُ، وَتَوَاصَلِ
جُمْدٍ بِالصَّبْرِ وَحُجْبٍ بِجِدَارِ صَمْتٍ مُطَبَّقٍ . أَلْعَلَّ انْقِلَابَاتِ الدَّهْرِ
بَرَقَعَتْ التَّفَاهُمَ بِالْقَنُوطِ وَاضْمَحَلَّ الْوَرْدَ عَلَى أَطْرَافِ غَصْنٍ اقْتُلَعَ
مِنْ أَرْضِ الْمَحَبَّةِ ؟

تُبْحِرُ بَعَيْنَيْهَا إِلَى الشَّقَقِ حَيْثُ حُمْرَةُ النَّهَارِ تُعَانِقُ زُرْقَةَ
الْمَغِيبِ، وَتُطْلِقُ صَوْتًا يَرْتَعَشُ مِنْهُ الْمَوْجُ مُتَكَسِّرًا عَلَى أَقْدَامِ
الشَّاطِئِ.

تَنْشُرُ أَشْرَعَةَ رُوحِهَا الْبَيْضَاءِ وَتَسْتَقْبِلُ رِيَّاحَ الْوَجْدِ وَتُبْحِرُ !
وَتُبْحِرُ عَلَيْهَا تَجِدُ لِمَسْأَلَتِهَا حَلًّا ! وَلِلْغَزِّ الْجَفَاءِ جَوَابًا !
وَتَعُودُ وَقَدْ خَبَأَتْ تَعَاوِيزَ الْمَحَبَّةِ وَاسْتَنْهَضَتْ طَيْبَ الرُّوحِ،
سَتَهْدِيهَا لِلشَّرِيكِ عَلَيْهِ يُسْكِنُهَا قَلْبُهُ لَا بَيْتَهُ !

وَتَكْتُبُ فِي الطَّرِيقِ أَتَيْنَهَا عَلَّهْ يَسْمَعُ نِدَاءَ امْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ

أُنَادِيكَ فِي سِرِّي ..

وَبِي شَغَفٌ

أَبْنَتْهُ مَشَقَّرًا إِلَيْكَ عِبْرَ الْعَصُورِ

فِي مِزْقِ شُرُودِ عَيْنِيكَ

وَجَسَدِكَ الْمُنْهَكَ

وَلَا يَحِلُّهُ أَحَدٌ سِوَاكَ ...

وَلَا تَفْكُهُ إِلَّا أَنَا مَلِكُ

الْمُنْحَوْتَةِ حَوْلَ خَاصِرَتِي

وَعَبَقِ شَفْتَيْكَ الْخَمُورَيْنِ

أَحْتَرِقُ أَسَى....
لَهَجِرَ عَيْنِكَ لِي
واعتصر ذاكرتي عشرة أعوام
فهل تذكر؟
تحت شجرة اللوز...
هناك.... عند الأفق
حين التقيك سابقاً
حيث رائحة الهوى
تُسافر على دروب وصل الحقيقة

اقْتَرَبْتُ مِنْ يَوْمِهَا
عِنْدَمَا غَفَى الْقَمَرُ عَلَى وَجْنَتِي
وَوَغَابَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ أَهْدَابِي
فَأَزْحَكُ وَشَاحَ الْحُزْنَ
عَنْ صَدْرِي
وَتَنَشَّقْتُ عَبِيرَ رُوحِي
وَنَزَعْتُ عَنِّي
كُلَّ الْقَشُورِ رَغْمَ تَمَنُّعِي
وَتَرَكْتَنِي عَارِيَةً
كَالدَّرةِ الْمُنْثَوْرَةِ

ضاق عليّ جثمانني
وروحني.... ثكلى
تفتشُ عنكَ....
تبحثُ اليوم ...
عن سرّ تلك العلاقة المبتورة

سافرك الى ملوكِ الجان
أبحث عن الزمان الهارب مّني
في غابات السّحر
أصطادالرّقى
علّي أداوي بها نزيّف عيني
وجرح السهام المكسورة
غطست في أعماق المحيط
استنجد بتلك الحورية
أفتشّ عنها في بحر الظلمات
أقطع القفار
علّي أجد
عرّافة... مشهورة
حلّ لغز غريتي لي
وسرّ مشاعرك المهجورة

هناك عند الجزيرة
وقفت عند سور قصر ساحرة
ارتعش وسط الدُّخان
اشتَّم بخور عشقك
أُغيب و أحضّر في إيقاع
دويها
يرتعد يقصف :
أنتِ عروسٌ مرصودة !!!
مرصودة !! مرصودة!
طيري .. طيري بكتابي هذا
لحبيبك يتلوه عليك اليوم
فتزول عنك
أعراض المسّ
وجنون الأم المفجوعة

حَبِيبِي أَحْمَلُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ
الدَّرَّةَ الْبَيْضَاءَ رَوْحًا تَسْبُحُ
وَقَلْبًا يَنْبُضُ حَنَانًا
فَلْتَقْرَأِ حَبِيبِي عَلَيَّ آيَاتِ الْوَصْلِ
وَتَرَانِيمَ الْهَوَى
وَتَعَاوِذَ الْعَشْقِ...كَامِلَةً
وَامْسَحْ جُثْمَانِي بِرَيْقِ مُقَدِّسٍ
فَأَنَا امْرَأَةٌ مَسْحُورَةٌ

كَزَمِي

أَطَلْتُ إِلَى الشَّارِعِ بَعْيُونَ زُجَاجِيَّةٍ، وَنَحَوَ السَّمَاءِ وَجَّهَتْ
قَلْبَهَا، أَطْلَقْتُ شَعْرَهَا لِلْهَوَاءِ، فَالْمَشْيِ صَدِيقِ الْأَزْمَاتِ وَالشَّارِعِ
وَنَيْسَ مَنْ لَا أُنَيْسَ لَهُ، وَمَنْ سُدَّتْ أَمَامَهُ سُبُلُ الثَّرَى تَوَجَّهَ بِفِطْرِيَّةٍ
نَحْوَ الثُّرَيَّا .

بِمُفْرَدِهَا تَوَاجَهَ الشَّاطِئُ هَذَا الْمَسَاءِ، فَلَطَالَمَا عَشِقْتُ الْوَحْدَةَ
وَتَوَحَّدْتُ بِالْوُجُودِ وَبِرَبِّهَا عَلَى طَرِيقَتِهَا، وَبِالرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْكَائِنَاتِ
الْبَشَرِيَّةِ حَوْلَهَا بَيَدَ أَنْ كُلَّ غَيْرِ الْحَبِيبِ فِي نَامُوسِهَا أَغْيَارُ !
بِصَدْرِهَا تَحْنَضُنُ النَّسِيمَ فَتَكْشِفُ عَنْ عُنْقِهَا الْمُثْقَلَ بِأَطْوَاقِ الْعُبُودِيَّةِ
فِي مُجْتَمَعِ الْخِدَاعِ، وَمِعْصَمٍ مِنْ فَرَطِ الْقِيُودِ تَشَقَّقُ .

تَنَنَّفَسُ بَعْمَقٍ ... تُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْهَوَاءُ إِلَى كُلِّ ذَرَّةٍ فِي
جَسَدِهَا، وَكَالنُّورِ يَسْرِي فِي هَيْكَلِهَا . تَتَحَسَّسُ وَجْهَهَا بِكَفِّهَا فَتَنْزَلِقُ
أَنَامِلُهَا عَلَى دَمْعَةٍ انْسَلَتْ تُرْطِبُ وَجْهًا مِنَ الْمَعْنَى أَفْرِغُ .

كَمَا الْأُمْطَارُ فِي اللَّيْلِ تُرَاوِدُهَا أَحْلَامُ صَغِيرَةٍ، وَالْحَزَنُ يَسْكُنُ قَلْبَهَا
الْوَادِعَ كَمَسَاءٍ نَخْلَةٍ صَامِتَةٍ.
تُشْرِعُ ذِرَاعَيْهَا لِلْمُحِيطِ وَتُطْلِقُ لِكَيْتُونَتِهَا الْعَنَانَ...

تَتَفَقَّدُ ذَاكِرَتَهَا وَتَبْحَثُ فِي تَكَالِيفِ الْحَيَاةِ عَلَّهَا تُعِيدُ الْعُمْرَ
الْهَارِبَ مِنْهَا فَتُنْسِجُ أَحْدَاثَهُ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي تُرِيدُ فَتَلَوْنَ
الْأَيَّامَ بِرَوْنَقِ الْبَهَاءِ، وَتُبَدِّلُ أَمَكِنَةَ الْبُؤْسِ بِجَنَّةٍ وَرَدِيَّةٍ، وَتُزِيلُ
الْإِنْفِعَالَاتِ الْمُوجِعَةَ وَالْأَسَى بِطُمَأْنِينَةِ السَّلَامِ .

وَعِلْمَ الْيَقِينِ تَعْلَمُ أَنَّ السَّعَادَةَ تَكْمُنُ فِي أَنْ نَرَى مَا حَوْلَنَا كَمَا هُوَ لَا
كَمَا نُرِيدُ، وَأَنَّ دُرُوبَ الْحَيَاةِ لَا تُوطَأُ أَبَدًا مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّ النَّدَمَ عَلَى
الْخَطَا غَلَطٌ كَبِيرٌ. وَأَنَّ اخْتِرَارَ الْمَاضِي بِزَهْوَرِهِ وَنُدُوبِهِ خُرُوجٌ عَنِ
انْسِجَامِ الذَّاتِ مَعَ آتِئَتِهَا الْحَاضِرَةِ .

تَسْتَجِدِّي أُغْنِيَةَ النَّسِيَّانِ وَتُحْمَلُ وَزَرَ عَجْزِهَا لِضَعْفِهَا، وَتَعُودُ إِلَى
نَفْسِهَا تَسْأَلُهَا:

هَلْ الشَّقَاءُ صَنِيعَةٌ مُمَارَسَةٍ لَنَا طَالَمَا تَوَقَّعْنَا صَوَابَهَا عِنْدَ وَقُوعِهَا
فَكُنَّا كَمَنْ سَاءَ سَعْيُهُمْ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ؟

وهَل استمرارية «الذاكرة» المثقلة بالأوجاع و التَّوق الى
إشباع الرغبات عبر «التمنّيات» بمسْتَقْبَلٍ «مفتعلٍ مُزَيَّف» يُولّد
لديها حَاضِرًا نَاقِصًا فتُصبح الذات ساحة صراعٍ تحُول دون إطلاق
إمكانيّاتها الروحية الدفينة؟؟

تَتَأَمَّلُ بِصَمْتٍ ... تَنْصِتُ إِلَى صَوْتِ الْأَمْوَاجِ ...
تَسْتَحْضِرُ «كَرْمَى»¹ الْمَاضِي وَالْآتِي ...
تُطِلُّ بِرُوحِهَا إِلَى الْأَرْلِيَّةِ وَالْأَبَدِيَّةِ ...
تَتَعَيَّنُ مِنْ دُنْيَوِيَّتِهَا الْأَرْضِيَّةِ أَنَّهُ ...
تُعَانِقُ الْمُحِيطَ ... تُلَامِسُ أَسْمَى الشُّوقِ

1 - رمى: فيزيائيا هي الفعل ، وميتافيزائيا ، قانون الجزاء ، قانون السَّبَبِ والنتيجة أو
السببية الأخلاقية . (المعجم التيوصوفي ، بلافاتسكي)
ويعرّف ديميتري أفيريونس صاحب كتاب «مقالة في التَّقْصُصِ» في تعريف قانون
«كرمى» أن «الجزر السنسكريتي كَرِ يَتَضَمَّنُ معنى "الفعل" ويدل ضمناً
على دورة العلة والمعلول. كرمى هو قانون الدينامية الروحية law of spiritual
dynamics» ص 24. وهو يستشهد بالطبيعة وظواهرها، كتعاقب الليل والنهار
والفصول وأطوار القمر إلخ، ليدل على دورية التطور الكوني وليصل، بالتالي، إلى أن
هذه الدورية تستوجب الولادة بعد الموت بهدف الوصول بالإنسان إلى غايته الأسمى .

تَسْتَعِيدُ الْحَسَّ بِرَدَاذِ مَوْجِ الْبَحْرِ الْمَتَكَسِّرِ عِنْدَ أَقْدَامِهَا
تَشْعُرُ بِخُرِيَّةٍ غَامِرَةٍ تَتَفَتَّحُ فِي كَيُنُونِهَا مُحَبَّةً ...

تَدْخُلُ الْبَيْتَ تُعَانِقُ طِفْلَهَا بِغُبْطَةٍ ...
ابْتِسَامَتَهُ رِسَالَةً لَهَا:

أَنْ مِنْ أَرَادَ رَاحَةَ رُوحِهِ ..
سَيَجِدُ نَفْسَهُ فِي الْمَحَبَّةِ لَا فِي تَمَلُّقِ الرَّغَبَاتِ

وَأَنْ إِزْدِهَارَ الْحَيَاةِ يَكْتَنِزُ عَوَالِمَ الْإِخْفَاقَاتِ عَلَى الدَّوَامِ .
فَعِنْدَمَا يَفْرَغُ ذِهْنُ الْمَرْءِ عَنِ الزَّمَانِ يَدْخُلُ عَالَمَ السَّكِينَةِ وَالْجَمَالِ !

وَتُنشِدُ عُمرَها كَفَتِيلَةٍ موجِزةٍ:

رَبِيعُ العُمرِ...

جُمَدُ بَکْثِيرٍ مِنَ الصَّبْرِ

وَمَسَاحَاتُ الشَّوْكِ

أَتَلَمَّسُها فِي عَالَمِ الأَمْرِ

كَمَا القَمَرُ عُلِقَ بِلا لَيلٍ يُحاورُهُ

وَوُجُوهُ مِنَ المَعْنَى أَفْرِغَتْ

يَتَعَجَّبُ طِفْلِي :

أَيَقُطُنُ فِي مَقَلَّتَيْكَ الْعَنِيمُ؟!
أَمْ أَنَّ رُحَامَ الْعَيْنِ يَحْمَرُّ؟!

أُغَايِرُ الْأَلَمَ
وَصَدَا مِغْزَلٍ يَخِيطُ الزَّمْنَ
وَسَمَاءَ أُفُقَاتٍ عِنْدَ شَمْسٍ خَشْيِيَّةٍ
وَأَعْيُدُ حَفَرَ الْخُطَى بِعِنَايَةٍ ...
كَيْ لَا تَخْتَفِيَ

أُتَوَّنُ فِي خَرَسِ الصَّخْرِ ذَاكِرْتِي ...
أُبْعَثِرُ الْبُؤْسَ فِي صَدَى النُّسَيَّانِ

مُوجِزةٌ جِدًّا قَتِيلَةَ الحَيَاةِ
وَبُغْبَارِ الضُّوءِ تَنْقُضِي
أَجَنَّاؤَ حَبْلِ الوَقْتِ عَارِيَةَ الْقَدَمَيْنِ
إِلَى اللانِهَائِي ...
حَيْثُ الأَمَلُ فِي زَيْدِ الأَخْلَامِ

أُنْقَذْتَنِي الخَيَالَاتُ والرُّؤَى
أَنَا بَلَكِ المَرَأَةِ
المَغْضُوبِ عَلَيْهَا
الَّتِي لَا تُقَدَّرُ أَحَدًا !

تَحْتَ الْحِصَارِ

تُكَافِحُ الحيرة بِصَرْفِ ذَهْنِهَا الْمُنْفَعِلِ عَنْ تَصَارِيفِ
الحياة، تَصْطَادُ الرُّقَى مِنْ كُتُبِ «التَّخْدِيرِ الدِّينِيِّ» وَتَتْلُو كَرَاسَاتِ
«الوصايا» بِانْتِظَامٍ. تَمَانَعُ الْيَأْسَ بِالْقَنُوطِ عَلَّهَا تُؤْنِسَ «فِرَاغَهَا»
الْمَثْقَلِ بِضَوْضَاءِ الْأَحْدَاثِ، تَسْتَجْلِبُ الْمَوَاجِدَ «السَّارَةَ» عَلَّهَا
تَرْوِّحَ عَنْ قَلْبِهَا «الْمُنْفَطِرِ»، وَتَتَنَاهَى فِي زَاوِيَةِ سَرِيرِهَا تَسْتَجِدِّي
«النِّسْيَانِ».

تَبْحَثُ عَنْ حَاجَةٍ لَا تَعْرِفُهَا، تُبَعَثُ صَدَى الْأَلَمِ حَتَّى فَقْدِ
الإرادة ..
تَطْرُدُهَا أَشْعَةُ الصَّبَاحِ فَتَحْمِلُ أَرْقَهَا اللَّيْلِي وَتُلْمِمُ هَجَعَاتِ رُوحِهَا
وَأَلْفَ فِكْرَةٍ فِي رَأْسِهَا تَدُورُ. تَمَنَّتْ لَوْ أَنَّ لِدِمَاعِهَا مِفْتَاحًا تُقْفِلُ بِهِ
سَيْلَ «الصور» الْمَكْتِظَةَ فِي جَمْعَمَتِهَا الصَّغِيرَةِ، وَصَدْرُهَا يَضِيقُ
بِالْحُرُوفِ...

تُقَرَّرُ الرَّحِيلُ إِلَى حَيْثُ لَا تَعْلَمُ
 تنهدتْ عَلَّ هَاءَ الْآهِ بِالْغَيْبِ تَتَصَلَّى ونحو السماء تتصدخ...
 حصارها أَلَمٌ مَبْرَحٌ!
 حصارٌ يَسْرُدُ رِوَايَةً مَوْجَعَةً لِمَرْأَةٍ لَا تَجِدُ فَنَّ الْخَدَاعِ، فَفُيِّدَتْ بِمَخْدَعِ
 الطُّفُولَةِ وَأُسِرَتْ بِخَدْرِ الزَّوْاجِ
 ضاقت ذُرْعًا بِبُؤْسِ الْأَنْفَسِ، وَغُنْفِ «التَّصْرِفَاتِ»، وَنَكْدِ «الشُّكُوكِ»
 المستوطنة في العقول المفخخة التي تدور حولها.

مَأْسَاتُهَا أَلِيْمَةٌ كُتِبَتْ بِدِمَائِهَا، وَدُمُوعُهَا جَفَتْ...
 بَيِّدُ أَنْ الرِّجَالَ لَا يَفْهَمُونَ دُمُوعَ السِّيداتِ! وَلَا يُمَيِّزُونَهَا عَنْ دُمُوعِ
 «الرَّقِيقَاتِ» الْخَانِعَاتِ! هَذِهِ هِيَ شَرِيعَةُ الْأَغْيَاءِ!

لقد أحبَّها كما أراد لا كما هي؛ وهي ما فتئت تبعثُ له الرسالة
 تلو الرسالة بحنانٍ على جناح طيرها الكسير الأسير، وابتسامه أنيقة
 تُعالج جهله، وبنور وجهها تضيء طريقه، وبطيّب السّماح تفرد
 جناح الرّحمة له، وبلين الكلام تُحاور قلبه، علّ تغريدها تُفهمه أن
 الشّجرة السّامقة لا يمكن أن تُصبح نهراً جارياً في الوادي وان
 النّجمة لا تُدفن أبداً في التراب!

في ليلها المذلّم تجلسُ في سريرها تُدون سيرة فائتة تحت الحصار
 الحصار :

سَمَاءٌ حُرِّيَّتِي
حَسَنَاءٌ.... بِالسُّمُوسِ تَسْرِيكَ
وَبَصْمَاتِ أَقْدَامِهَا
حُفِرْتُ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ
حَوْلَ نَاصِيَتِهَا....
مَدَارَاتِ النَّقْنِ.... بِإِخْلِيلِ كَوَاكِبِ
وَكُؤُوبِهَا.... مَجَرَّاتِ تَنَهَادِي
عَلَى إِيقَاعِ.... زُحَلْ

أَسْدَلْتُ شَعْرِي عِطْرًا
عَلَى حُورٍ عَيْوَنِي فَأُنْسَدَلْ

وَأَمُطْتُ مِنْدِيلَ الْحَرِيرِ
عَنْ حَرِّ وَجْهِي فَأُنْكَشَفْ
وَمِنْ خَلْفِ عُطْرِ الْمَاقِي ..
سَحَابٌ يَمْزُقُ لَأَلِي عَلَى الْخَدِّ .. فَأُنْهَمَرَ

لَبِقْتُ لَنْ عَاشِقًا تَعَزُّدًا ...
دَنَسْتُ قَبُودَهُ رَجَبِقُ شِفَاهِي
حَتَّى أُحَرِّقَتْ
كَأْسُ الدَّمُوعِ مَذَاقِي

بُنْتُ التُّورَ أَنَا
سَقَّنِي الْوَجْدَ نَعَمْ
وَكَيْفَ السُّوقُ يَسْتَنْفِي ؟
وَطَيَّوْرِي سَلَامٌ بِلاَ أَجْنَحَةٍ
حَصَارُ الرُّوحِ أَلَمْ مُنِيرِحْ
وَمَخَاضُ رُمُوزِ الْهَوَى
صَدَى أَلْيِي ...
وَأَزِينُ رُوحِي ...
نَحْوِ الْعَرْشِ يُنْصَوِّحُ
أَسَاقِي الزَّمَانِ صَبْرًا
أُنْتَظِرُ فِيهِ أَنَّهُ
نَحْوِ الْإِلَهِ أُنْعَتِقُ

إِلَى الشَّمْسِ مَرَّةً أُخْرَى !

تَيَقِّظُ قَلْبَهَا !

فاحتضنت روحها وفارقت واقعها دون التفات !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا امْرَأَةٌ مُسْتَهْتَرَةٌ هَجَرَتْ عَائِلَتَهَا، وَمُهِرْطَةٌ لَعَنَتْ كَافَةَ
الْمَعْتَقَدَاتِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا غَبِيَّةٌ خَرَجَتْ عَنْ نَعِيمِ «الرَّعَايَةِ» وَرِقَّةٍ «الْقُصُورِ»،
وَارْتَضَتْ أَنْ تَتَلَحَّفَ السَّمَاءَ وَتَقْتَرِشَ الْغَابَاتِ !
سَيَقُولُونَ إِنَّهَا أَهْدَرَتْ الْفَرَصَ «الذَّهَبِيَّةَ» وَتَأَلَّقُ «النَّجُومِيَّةَ» لَتَنْشَغَلَ
بِصَغِيرِ صَغِيرِ الْهَوَايَاتِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا نَاشِئٌ تَسْتَوْجِبُ أَشَدَّ الْعِقَابِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا عَاهِرَةٌ تَتَعَبَّدُ خَطَايَا الْحَرَامِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا خَائِنَةٌ خَاصِمَتِ الْوَفَاءِ !

سَيَقُولُونَ إِنَّهَا امْرَأَةٌ رَحَلَتْ تُعَاقِرُ الْمَحَرَّمَاتِ !

سَيَقُولُونَ... وَيَقُولُونَ ... وَيَقُولُونَ

ولأن النفاق استَوَظَنَ مَخَادِعَهُم فأنس الخيانةَ حيثُ يَنَامُ الكَذِبُ في
 زيف التجميل!

ولأنَّهم ارتَضَوْا تَلَفَ أُبْدَانِهِمْ في طَلَبِ زَخَارِفِ دُنْيَا الخِذَاعِ!

ولأنَّهم لَا يَعْرِفُونَ نُبْلَ الحُرِيَّةِ.... وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى الانْعِتَاقِ...

ولأنَّهم لَا يَعْرِفُونَ نُبْلَ الأرواحِ... وَلَا يَعْرِفُونَ نُبُوَّةَ العِشْقِ...

ولأنَّهم لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ مَقَامَ الأُنْتَى يَتَجَاوَزُ عَالَمَ الأَجْسَادِ!

ولأنَّهم لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ شَغْفَ الحُرَّةِ للهوى يَتَجَاوَزُ ارتِعَاشَةَ الحَوَاسِ!

ولأنَّهم لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ الوَرْدَةَ لَا تَنُمُو في المِسْتَنَفَعَاتِ!

ولأنَّهم لَا يَعْرِفُونَ أَنَّ ظَمَأَ الرُّوحِ لَا يُرَوَّى بِمِيَاهِ الشُّكُوكِ الأَسِنَّةِ!

ولأنَّهم ولأنَّهم تُقَرَّرُ الارتحال ...
وتُغَادِرُ ...

وتغادرُ عباءة العبودية مُخَلَّفَةً ورائها الدُّنيا بأسرها، مُنْطَلِقَةً
إلى مشيئة السَّماء التي لا تُريد للإنسان أن يَتَوَجَّعَ في ليالي العمر،
ولأن نقاوة قلبها عرَّفَتْها أن الإله لا يَتَمَجَّدُ إلا بسعادة الإنسان !

أطلقت شعرها الأجدع وانطلقت !
وعَبَّرَتْ بَيْنَ القُبُورِ الحَيَّةِ وتكدس الأبدان، ونحو السماء
حوَّلَتْ وجهها كي لا تَرى خدَّها مَضْرُخاً بالأشواك ...

عند شجرة الحرية تَبْتَهِجُ بِمُنَاجَاةِ العَصَافِيرِ، و تبتسم لشروق صَبَاحٍ
تَرى فيه الشَّمْسُ مرة أخرى!

المغادرة:

لَكِنْ ... مَنْ ذَا الَّذِي عَنَرَ الْجَدَاوِلَ نَظَمَ الْمَحَبَّةَ ؟
وَالشُّمُوسَ عَالِقَاتٍ عِنْدَ حَافَةِ الْعَرْبِ

مُتَرْقِبَةً ...
أَتَلَمَّسُ كَاجِلِي الْمَشْدُودِ إِلَى الْغَيْبِ
وَعَيْنٌ لِلوُثُوبِ تَتَوَقَّعُ

عِنْدَ فَيْضَانِ الدُّجَى ...
أَفْقِدُ الْاسْمَ الْمُرْهَفَ
وَأَرْتَقِي بِأَجْنَحَةٍ عَنِيْدَةٍ

أَتَدْنُرُ بِالشُّوقِ ...
أُخْرِسُ الْوَرْدَ ...
أُبْعِثُ صَدَى الْوَجْدِ ..حَتَّى فَقَدَ الْإِرَادَةَ
يَطْرِدُنِي الضُّوءُ ...
يُمَشِّطُ مِخْدَعِي بِأَشِعَّةِ الْفَجْرِ
فَأَلْمَمَ هَجَعَاتِ الرُّوحِ
الْمَصْلُوبَةِ فِي قَلْبِ الزَّعْتَرِ الْبَرِّي

أَلِجْ هَيْكَلِي الْمُنَكَّرَ
أَطَا الدَّرْبَ الْأَرْضِي

فِي الْمِرْآةِ أَرَى رَسْمِي...جَسَدِي :
تِلْكَ مَا يَسْتَوْجِبُ مِنِّي الْمَغَادِرَةَ !

الفهرست

إهداء	5
من وحي العواصف	7
رياح العواصف	11
امتحان و عرفان	13

بِنْتُ النُّورِ عِنَقَاءَ مَنْ نُونِ الْأَحْزَانِ وَلِدَتْ

ولادة دراماتيكية! مَنْ نُونِ التَّكْوِينِ إِلَى تَاءِ التَّأْنِيثِ	15
بَيْتٌ مُنْقَسِمٌ	31
شَرَارَةُ الْحَرْبِ وَ شَرَانِقُ الطَّائِفِيَّةِ	38
جَبْرٌ عَلَى خُبْرٍ	49
آهات الحرب ومآهات التهجير	61

بِنْتُ النُّورِ تُدِينُ بِدِينِ الْحُبِّ

إِلَهَ الْعَائِلَةِ وَبِنْتُ النُّورِ	91
عند صَاحِبِ الْكِبَرِيَّتِ الْأَحْمَرِ	101

- 107..... واهبُ الصُّوفِ فِي عَصْرِ صَاحِبِ الْعُصُورِ
- 113..... حَبِيبٌ فِي الطَّرِيقِ
- 119..... عِنْدَ غَيْبِ الْمَغِيبِ
- 127..... بِنْتُ النُّورِ فِي قَفْصِ الْإِتِّهَامِ

بِنْتُ النُّورِ فِي مَنَازِلِ الْإِخْتِبَارِ

- 139..... الرَّاهِبَةُ
- 147..... الرَّهِينَةُ
- 155..... كَرَمَى
- 163..... تَحْتَ الْحِصَارِ
- 169..... إِلَى الشَّمْسِ مَرَّةً أُخْرَى!



مروة كريدية

تعد الكاتبة مروة كريدية واحدة من المهتمات بالقضايا الإنسانية واللاعنف، حيث تطرح العلاقات الاجتماعية والسياسية من خلال رؤية وجودية تتجاوز الانقسامات الاثنية والدينية والجغرافية، وقد عملت في ميادين فكرية متنوعة، ولها العديد من الاعمال الادبية و الفنية التشكيلية والخواطر الشعرية والابحاث الميدانية في علم الاجتماع السياسي. شاركت في أعمال حوار الاديان واللاهوت المقارن، كما نشطت في ميدان الاعلام الثقافي.

من إصداراتها:

- استراتيجيات الأمل في عصر العنف - مقالات في عنف السياسة والمادة - النايا للدراسات والنشر - دمشق - 2011
- لوامع من بقايا الذاكرة - ديوان شعري - الدوسري للثقافة الإبداع - البحرين - 2010
- فكر على ورق- محاولة جديدة للإبداع - الدوسري للثقافة والإبداع - المنامة - البحرين - 2009
- أفكار متمردة - في الفكر والثقافة والسياسة - شمس للنشر والتوزيع - القاهرة - 2008
- معابر الروح - ديوان شعري - شمس للنشر - القاهرة 2008
- مدائن الغربية - في الفنون التشكيلية- 2007

لها مدونات عدة على شبكة الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي منها :

Marwa Kreidieh

<http://www.facebook.com/Marwa.kreidieh.Writer>

https://twitter.com/marwa_kreidieh

<http://marwakreidieh.unblog.fr>